موبايل زكي رستم
سامي كمال الدين

موبايل زكي رستم

سامى كمال الدين

الطبعة الأولى ، ٢٠١١

OKTOB.NET

دار اكتب للنشر والتوزيع

القاهرة ، ١٠ ش عبد الهادي الطحان ، المرج

موبايل : ٠١١٠٦٢٢١٠٣

E – mail : dar_oktob@gawab.com

المدير العام :

يحيى هاشم

تصميم الغلاف :

إسلام جاويش

تدقيق لغوي :

محمد علي

رقم الإيداع : ٢٠١٠/٢٤٥٣٨

I.S.B.N: ٩٧٨-٩٧٧-٤٨٨-١٠٥-٣

موبايل زكي رستم

سامي كمال الدين

الطبعة الأولى

٢٠١١



دار اكتب للنشر والتوزيع

"زكي رستم" شرب اللبن

إذا أعجبك هذا الكتاب، فدعني أشكرك على إعجابك به .. وإذا لم يعجبك فأرسل على إيميلي ؛لكي أعطيك عناوين أصدقائي :

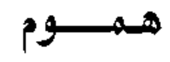
فهم الذين اقترحوا عليَّ أن أطبعه ، وتستطيع أن تحصل على ثمن الكتاب منهم؛وإذا لم تحصل على ثمن الكتاب تستطيع الحصول على وجبة ممتعة من الأكل مع باكو شاي ليبتون، فالذى يجمعهم جميعًا هو "الكرم"،ولا يُعْقَل أن تطرق بابهم وتعود خاوي الجيب والمعدة ،كما أنّ الدكتور "محمود سلطان" رئيس تحرير موقع جريدة " المصريين " الإلكترونى هو السّبب في نشر هذه المقالات،وقد يكون السّبب أنّنا لم نلتق وجها لوجه حتّى الآن. !!

لا أريد توريطك في قراءة هذا الكتاب،لكن صدّقني فأنا لا أكذب عليك في كرم أصدقائي ليس منهم "زكي رستم" بالطبع، فأنا لا أريدك أن تذهب إلى هناك،لكن لهذا الرجل معي حكاية غريبة، طبعًا جئت إلى الدّنيا بعد أن كان هو قد تركها ورحل منذ زمنٍ طويل وخَلَفَ مجموعة من الأعمال المبهجة، ولا أعرف السّبب الذي جعلني أورّطه في صاحبنا بطل حكايتي " موبايل زكي رستم "،ولا أعرف لماذا يطاردني "زكي

رستم"؟!، فحتّى حين تولّيت إدارة مكتب مجلّة " الدّوحة " في القاهرة، وقمنا بتأجير شقّة لها في عمارة "يعقوبيان" — طبعًا أجّرها بعد رواية "علاء الأسواني" ،وبعد الفيلم إيّاه علشان ما تفهمنيش غلط — وبعد عامين صعدت في الأسانسير مع رجل من سكّان السّطوح حدّثني عن سكّان العمارة المحترمين، قال لي:" كان منهم زكي رستم، كان باشا بصحيح كان ساكن في الدّور التّاني، قعدت شقته مقفولة لحد من ثلاث سنين بس؛لأنه لم يتزوّج وليس لديه ورثة، وتؤجرّها الآن شركة للأسهم المالية".

كدت أُجَنّ أكثر حين سألتني زوجتي ماذا أفعل ؟

قلت لها:" أكتب مقدّمة لكتاب " موبايل زكي رستم " ، فقاطعتنا ابنتي التي لم تتجاوز العامين قائلة : " زكي رستم شرب اللّبن يا بابا "!!


همـــوم



موبايل "زكي رستم"

واحد أنا من المعجبين بكتابات الدكتور "مأمون فندي"، ولا أعتقد أنّ هناك مقالاً مرّ عليّ دون أن أقرأه — ولولا تعمّده عدم انتقاد الحرّيات في بلاد الصحف التي يكتب فيها،وانحيازه الدّائم لأمريكا لكان واحدًا من أندر الكتّاب العرب_ وأتابع بطبيعة الحال محاولاته الجادّة لتنقية مهنة الصحافة مما علق بها من شوائب ومن " هـــيّافة "،ومن أناسٍ لا علاقة لهم بالكتابة من قريب أو بعيد، وقد شجّعتني كتابات "مأمون افندي" على الكشف عن أشياء مخجلة، لا يعرفها "مأمون افندي" ؛لأنّه يعيش خارج مصر، ويشاهد الصّحفيين المصريين من خلال مؤتمرات القمّة العربية والفضائيات ،ومن خلال كتابات الجهابذة منهم عبر الصّحف .

أُولى هذه الوقائع بدأت مع التحاقي بنقابة الصّحفيين ،حيث كنت مع مجموعة من الزملاء منهم زميلة يعمل والدها نائبًا لرئيس تحرير مؤسسة قومية، وهذا ليس عيباً بالمناسبة، فالتوريث في مصر يتم في كل شيء، بينما نستكثره نحن على"جمال أفندي مبارك" !

سألت الزّميلة عن أسماء اللّجنة التي ستجرى أختبار القيد لنا بالنّقابة، فقالت لي:" إبراهيم حجازى،وضياء الميرغنى،والدّكتور

الذى يصدر المجنة الكبيرة الحجم من دار الهلال"،وحاولت أن أعرف اسمه مستعرضاً أمامها إصدارات "دار الهلال ، ووصفت لي الملامح فعرفت أنّه "أسامة الغزالي حرب".ولم أقل لها:" إنّه رئيس تحرير مجلة السّياسة الدولية التي تصدرها مؤسّسة الأهرام"؛ولكنّي سارعت بتصفّح أرشيفها الذي لم أجد فيه سوى تحقيق واحد من خمسمائة(٥٠٠) كلمة !

وقلت في نفسي:" لقد وقعت في يد من لا يرحم"، فقد أجابتني على قلّة عملها بأنّ رئيس قسم التّحقيقات لا يكلّفها بشيء ،وحين تأتي له بموضوعات لا يقوم بنشرها،فقلت لها:" هناك مجموعة أشخاص تستطيعي إجراء حوارات معهم تحقّق لك مجدًا لاينتهي ،وتحصلين على جائزة النّقابة بهذه الحوارات"، وطلبت الأسماء .

قلت لها:" عليكِ أن تبدئي بصلاح جاهين،ثمّ "زكي طليمات"،وكذلك"عبد الرحمن الخميسي"،و"زكريا الحجاوي"،و"كامل الشنّاوي"، والشّيخ "محمّد رفعت" ،و"عبد الباسط عبد الصّمد" ،و"مرسي جميل عزيز" ،و"محمّد التّابعي"،و"أحمد بهاء الدّين" .

لكنّها اعترضتني، متوقّعاً أن تسبّني، ولكنّي فُوجئت بسؤالها الوجيه : "ومن أين أحصل على أرقام موبايلات هؤلاء ؟!"

كتمت ضحكتي وفتتحت قائمة الأسماء في هاتفي، واخترت الأصدقاء الذين لا يتحمّلون نسمة حارّة عابرة على وجوههم ومنحتها أرقام هواتفهم، ثمّ رحت أعرّفها بهذه الشّخصيات حين سألتني عن نوعية الأسئلة التي ستطرحها عليهم، فقلت لها:" إنّ صلاح جاهين يعمل أستاذاً لعلوم الذرّة، وزكريا الحجّاوي كان رئيساً لتحرير الأهرام قبل إبراهيم نافع، وزكي طليمات فيلسوف مصري معاصر له العديد من الكتابات، بل وهو مؤلف " فن الشعر " !

ولما قلت لها:" الشيخ "محمد رفعت"، صرخت قائلة :"أعرفه .. لأنهم يكتبون في التليفزيون " أذان المغرب بصوت الشيخ "محمّد رفعت" قبل الإفطار في شهر رمضان"!!.

في اللجنة سألها "إبراهيم حجازي" بعنف:"أنت خريجة سياحة وتعملين في الصّحافة ..المفروض أن تذهبي للعمل في السّياحة أفضل لك؛ لأنكِ خلال عام واحد لم تكتبي سوى تحقيق صحفي واحد!!".

-"ماما قالت لي الصّحافة أفضل لي" .. قالت .

فسألها "أسامة الغزالي حرب" : "ومن أمك ؟!"

قالت :" فلانة، فهز الجميع رؤوسهم بالإيجاب علامة على قبولها في اللجنة. !

أشرف عبد الشافي، أديب وصحفي وصديق فوجئ ذات يوم باتصال من صحفي يعمل في صحيفة مستقلة معرّفاً بنفسه،وقائلًا له الآتي :" أعرف أنّك صديق سامي وحكى لي عنك كثيرًا، وقال لي:" إنّ أمل دنقل صديق لك، فأرجو أن تعطيني رقم هاتفه المحمول لأجري حوارًا معه" .

وبعد عدّة حركات بالفم وسباب طويل لي وله وللصّحافة أغلق أشرف الهاتف في وجهه ،واتّصل بي لأستلقي على قفاى من الضحك .

صحفي آخر – وأقسم بالله أنّ ما أقصّه حدث بالفعل – كنت أجلس وإياه على مقهى في شارع الصّحافة ، وعبر رجل عجوز يرتدي بيريهًا أمام مؤسسة "أخبار اليوم"،وسألني زميلي":من هذا الرجل الذى يتّكئ على ذراع رجل آخر،وتبدو له هيبة كبيرة ؟"

"هذا توفيق الحكيم ".. قلت له ثمّ أكملت معنفًا كيف تعمل صحفياً ولا تعرف توفيق الحكيم؟! .. ألم تقرأ:" يوميّات نائب في الأرياف وأهل الكهف وعصفور من الشرق"؟! . وأخذت أخلط الجدّ بالهزل، وهو يقول : "طبعاً قرأت كلّ كتب توفيق الحكيم ،لكنّه لم يكن يضع صورته على كتبه.!!

قلت له :" يجب أن تصلح غلطتك بأن تجري معه سلسلة حوارات بمثابة مذكرات تُحدث دويًا في الكون، وعليك أن

تذهب الآن إلى رئيس التحرير تعرض عليه الفكرة ،وكان يعمل مع رئيس تحرير معلّم وأستاذ بحقّ وحقيقي، بل وتربّى في"مدر سة روز اليوسف" العظيمة، ولولا عناية "الله" لقذف به رئيس التحرير من الطابق الرابع خاصّة أنّ صاحبنا أخبر رئيس تحرير أنَ الأمر ليس مزحة ،وأنّه يمتلك رقم الموبايل البرايفت لتوفيق الحكيم .!"

يعلم "الله" أنّني كنت أعاني أشدّ المعاناة من جراء هذه "المقالب" ولكنّني كنت مغتاظاً من أنّ هناك عشرات الموهوبين لا يجدون مكاناً في هذه المؤسّسات العقيمة،بينما مثل هؤلاء يأخذون راتبًا ويجلسون في المكاتب المكيّفة ويعيشون في بيوت،بينما الموهوب يعيش في الشّوارع،وكنت أحزن أشدّ الحزن وأنظر بعين العطف لهؤلاء الجهلاء،ولا أدّعي أنّني عالم عصره وأنّه لم يصدر كتاب إلا وقرأته، على العكس أحاول البحث عن المعرفة كلّما أتيح لي الوقت والجهد،ولكن ليس من المعقول أن يعمل الواحد منهم صحفيًا ،ولا يعرف إن كان "أمل دنقل"، أو "صلاح جاهين" على قيد الحياة أم لا، أو ماذا كتب هؤلاء العظام ؟!

وليس بالضّرورة أن تقرأ كلّ ما ماخطّته يد البشرية لتكون صحفياً ناجحًا ، ولكن على الأقل تثقّف نفسك وتعرف أسماء أساطين المهنة التي تنتمي إليها، فلقد أُصبت بمرارة بالغة حين

تحدّثت مع صديق عزيز عني ،وواحد من الصّحفيين المتميّزين في "مصر" عن "محمّد الماغوط وزكريا تامر"، فسألني : ماذا يكتب الماغوط ؟ قصّة أم رواية أم شعرًا أم مسرحًا؟!

وسألني :"هل يوجد فعلًا كاتب اسمه زكريا ،وأبوه اسمه تامر؟"!

صحفي آخر حدّدت له موعداً مع "صلاح منصور"،وذهب إلى الموعد في "حلمية الزّيتون" ولم يجده،ولمّا اتّصل بي قلت له :"قد تجده في الإمام الشافعي أو البساتين،" فقال لي : "وهل ذهب ليمثّل دورًا في أحد أفلامه هناك ؟" ،قلت له: نعم،ولكنّه لايمثل لأنّ الآخرة لا تمثيل فيها،ولما عرف أنّ "صلاح منصور" مات منذ زمنٍ طويل سبّني ،وأغلق الهاتف في وجهي .

ولا تقتصر المسألة على الصّحفيين فقط، فمذيعة شهيرة في قناة "المستقبل" اللّبنانية قالت لي :

"كيف لا تعرفني وأنا واحدة من أهمّ المذيعات في الوطن العربي؟!، فقلت لها ضاحكًا لأتخلّص من الحرج : "إنّني أعرف "إيزابيل الليندي" ،لكنّها فاجأتني : "وفي أى قناة تعمل إيزابيل هذه .."

"في روتانا خليجية" ،هكذا قلت لها.!

أيضا تعرّفت إلى شاب خريج كلّية "الشريعة والقانون"،ويريد أن يعمل بالتّمثيل،ومن الطبيعى أنّ من لديه

هذه الهواية يكون على دراية بأشخاص مثل "زكي رستم ومحمود المليجي ويوسف شاهين وأحمد زكي مثلًا"،ولكن صاحبنا انقاد ورائي طائعًا حين قلت له:"ولا يهمّك غدًا ستكون نجمًا كبيرًا، وتلهث وراءك المعجبات، وتحسّست جيبي، ليس بحثاً عن مسدّس وهو أقلّ واجب معه، ولكنّي مدّعيًا البحث عن البيزنس كارد، فقال لي:" البيزنس كارد الخاصّ بمن ؟"، قلت له : "بيزنس كارد زكي رستم. !"

ثمّ شرحت له قيمة الرّجل،فهو صاحب أروع الأفلام في تاريخ السّينما المصرية مع "فاتن حمامة وفريد شوقي ومحمود المليجي"،والآن يلعب بطولة فيلم أمام "أحمد السّقا ومنى زكي" في استديو مصر في المرج (!!) وسأحدّد لك موعدًا معه، ثمّ هاتفني في اليوم الثّاني ،وقلت له:" إنّ عليه الذّهاب لزكي بك رستم في السّابعة صباحًا في المرج بعد غد،وبالفعل استقلّ صاحبنا أول مترو، وذهب إلى "المرج" وأخذ يسأل عن ٧" ش زكي طليمات" في المرج حيث استديو مصر، وصحوت على هاتفي يزعق وكان صاحبنا على الخطّ الثانى :

"سألت كلّ سكّان المرج فقالوا لى : لايوجد هنا سوى ستديو تصوير كوداك للصور الفوتوغرافية، وقال لى جزّار: إنّ ستديو مصر عند ترعة المريوطية في الهرم ،فقلت له : الأستاذ

زكي رستم هو الذي أعطاني هذا العنوان، وليس معقولاً أن يكذب عليّ ، فقال لي صاحبنا :

"إذن أعطني رقم موبايل زكي رستم لأسأله عن العنوان، وهنا فرحت كثيرًا وأعطيته رقم هاتف صديقي محمّد أبو زيد المحرّر البرلماني بالمصري اليوم، والذى اعتاد كلّ أسبوع على مكالمة لشخص من طرفي يطلب منه موبايل شخصية من الزّمن الغابر،وكان محمد في طريقه إلى مجلس الشّعب حين هاتفه صاحبنا:صباح الخير يا زكي بك، أنا فلان من طرف فلان وأريد أن ألتقي بك لأمثّل حسبما حدّثك عنّي "سامي"، ولما استفسر "محمّد" عن هوية زكي وعرف أنّه زكي رستم، قال له ضاحكاً : "أنا لا أعرف سوى زكي بدر"، فقال له صاحبنا:"بس أنا لم أشاهد أفلام زكي بدر .. شاهدت أفلامًا لأحمد زكي، فهل هو ابنه ؟"!!!!!

وكان الرّد جاهزًا لدى "محمّد أبو زيد" .. لكن لعلّ أروع المقالب التى تلقّاها صديقي هذا، حين هاتفه صحفي بمؤسّسة قومية وعضو في إحدى لجان نقابة الصّحفيين، على أنّه من طرفي ويطلب منه لقاءً صحفيًا بصفته الدّكتور "أبو قراط". !!

أي نعم فقد قلت لصاحبنا بالحرف، وفي وجود الكاتب الكبير "سليم عزّوز" في كافتيريا نقابة الصّحفيين :إنّني أستطيع تحديد موعد له مع الدّكتور "أبو قراط" أبو الطّب

والأطباء،وأستاذ جراحة المسالك البولية الشّهير ؛ليجري معه حوارًا ويمنحه ملفًا إعلانيًا عن مستشفيات "أبو قراط" في الدّقهلية والغربية والبحيرة أيضًا، وخجل صديقي "أبو زيد" من كشف هويّته لهذا الرّجل، وهو لا يملك أيضًا صفقات إعلانية ليعطيها له، لذا حوّل هاتفه إلى خاصيّة غير موجود بالخدمة؛ليهرب من ملاحقات صاحبنا الولهان بأبي اقراط، فهل عرفت يا دكتور "مأمون فندي" ما وصلت إليه حال الصّحافة والثّقافة في مصر ؟

حوار بين مواطن وحاكم عربي

الحاكم : "طالما أنّ هذا الوطن لا يعجبك .. وأنّك تشكو من تليّف الكبد ومن السّرطان
والفشل الكلوي والمرارة والسّكر، وتدّعي أنّك تشرب مياه مستنقعات ،وتعاني من
الدّيكتاتورية ومفروض عليك حظر تجوّل .. لماذا لا تترك "وطني " وترحل ؟"

المواطن :" إذا ركبت الطّائرة أدوخ.!"

الحاكم :" سافر بالسفينة ."

المواطن :" يصيبني دوّار البحر ."

الحاكم : "سافر بالجمل.!"

المواطن : "ليس معي ما يكفي لطعام الجمان ."

الحاكم : "سافر مشيًا ."

المواطن : "أموت بضربة شمس ."

الحاكم :" إذًا اجلس في وطننا ،ولا تشتكي ."

المواطن :" لساني يتحرّك ليجري ريقي .!"

الحاكم :" وما الذي ينشّف ريقك ؟!"

المواطن" :كيلو اللّحم بـــأربعين(٤٠) جنيهًا ،وكيلو الارز بثلاثة جنيهات ونصف الجنيه وكيلو

الطّماطم بثلاثة جنيهات ، حتّى كيلو الفلفل أصبح بخمسة جنيهات،وكيلوالفراخ بقى بـــخمسة عشر(١٥)جنيهًا،والمياه مقطوعة عن بيتنا دائمًا لذا يجفّ حنقي ولا أجد ما آكله،فأسلّي فمي بحكايات عن الأكل ."!!!!!

الحاكم : "كُل برسيمًا ."

المواطن : "أرضي باعها أبي قبل أن يموت جوعًا ،وما تبقّى منها أمّته الكيماويات المسرطنة .

والمساحات الخضراء بُنِيَت عليها ناطحات سحاب، فحتّى البهائم تأكل علفًا جافًا ولا تجد البرسيم ."!!!!

الحاكم :" أنت عريان وجائع ،وريقك ناشف ،وتتحدّث عن الديمقراطية!."

المواطن : "لأنّها الوحيدة التي تستطيع أن تطعمني في هذا الوطن ."

الحاكم :" لماذا .. أتعتقد الديمقراطية خروفًا ؟!"

المواطن :" كانت كذلك ،وذبحته أنت ."

الحاكم : "دعك من هذا الهراء .. وقل لي: كيف ستطعمك الديمقراطية ؟!"

المواطن : "الديمقراطية أن يأخذ كلّ مواطن حقّه في هذا الوطن ."

الحاكم" : ولكني منحت كلّ مواطن حقّه، فأعطيت أخي شمال الوطن، وأختي شرق الوطن،أمّا أصدقاء أولادي فمنحتهم جنوب الوطن، ولأنّني وفي فقد منحت غرب الوطن لأحد رفقاء السّلاح، كما أنّ كلّ التوكيلات الكبيرة للشركات الأوروبية والأمريكية حصل عليها وزرائي وأولادهم .. أليسوا هؤلاء هم رجال الوطن الذين يستقبلون أسلحة العدو بصدورهم ؟!"

المواطن :" ولكن صدورهم مثل صدور الفراخ البيضاء .!"

الحاكم :"ثمّ إذا كنت أنت تريد الديمقراطية حبًّا في هذا الوطن ،فلماذا لا تتطوّع في الجيش لأجل الوطن ؟!"

المواطن : "أونحن مقبلون على حربٍ مع إسرائيل ؟"

الحاكم :" إسرائيل انتهت منذ زمنٍ طويل .. ألا تدرى .. لقد رميناها في البحر، معركتنا الآن أكبر من إسرائيل ."

المواطن :" أكيد مع أمريكا .. فهي عدوّنا الأكبر، نحن لا ننظر للصّغائر مثل إسرائيل.!"

الحاكم :" ولا أمريكا .. معركتنا الآن داخلية ."

المواطن :" أسفل البطن. !"

الحاكم : "داخلية مع أعداء الوطن مثلك الذين يكرهون حزبنا ،ويشيعون ضدّه بالباطل ."

المواطن" : ولكنّي أظلّ حتى وضع رأسي على الوسادة وأنا أفكّر في لقمة عيشي .. لم تتركوا لي وقتًا حتّى أطلق الشائعات ضدّكم .. كما أنّك لم تترك لي شيئًا من هذا الوطن حتّى أدّعي انتمائي إليه، و..."

الحاكم : "كفّ عن هذا .. إنّك مواطن ثرثار .. ألا تجد شمسًا تتدفّأ بها في الشّتاء .. ألا تجد هواءً تتنفّسه .. ألا تجد صورتي على أجهزة التلفاز ،وفي الصفحات الأولى من الصّحف ..ألا تجد النّاس يسبّحون بحمدي .. ألا تقول حين تسأل عن اسم بلدك إنه بلد الحاكم فلان ؟! .. لقد أعطيتك كلّ هذا في أرضي ومع ذلك لا تشكر ."!!!!!!!!

المواطن : "أريد أن أشكر "الله" على منحنا إيّاك ."

الحاكم :" لا تتحدّث عن المنح، لقد جئت من خلال انتخابات ديمقراطية حصلت فيها على ثقة الشعب بـــ٩٩,٩% ."

المواطن : "ولكنّي لم أعطك صوتي في الانتخابات ."

الحاكم : "وأنا لم أقل لك نجحت بنسبة ١٠٠% ، ولكنّي قلت ٩٩,٩% ..!! ."

المواطن :" هل تسمح لي بأن أُعتقل ؟"

الحاكم : "لن تضحك عليّ مرّة أخرى .. أعتقلك حتى تخرج بعد يومين وتتّصل بأمريكا وبمنظّمات حقوق الإنسان

وبلجان الحرّيات ،وتطالب بمحاكمات تراقبها سيندى شيهان، وتصير بعد ذلك بطلاً على قفاي ؟!!"

المواطن :" إذًا ماذا تريد منّي يا " مولاي "؟"

الحاكم" : سأتركك في هذا الوطن .. قل ما تريد عن الدّيكتاتورية ،والتّوريث ،والظّلم ،وارتفاع الأسعار ،وقمع المظاهرات والتّعذيب، ففي النّهاية سيُقال: إنّ عصرى هو عصر الكلمة الحرّة الشريفة ،وأنّه لم توجد معارضة منذ بداية تاريخ البشرية إلّا في عصري ."!

المواطن : "وهل ستقتنع بكلامي ؟!"

الحاكم :" بالطّبع سأضعه تحت قدمي ،وأقف عليه لأكون " ربّكم الأعلى " ، ثمّ أفعل ما أريد فدائمًا الكلاب تعوي خلف القافلة ."

المواطن :" ولكنّ القافلة تضخّمت بفسادها حتّى كادت تنفجر ."

الحاكم" : لن تنفجر وحتّى لو انفجرت ،فلن ينكشف ما بداخلها، فأولادى هم الذين سيجلسون على كرسي " وطني " وأنت لا تستطيع أن تسبّ أباهم بالطّبع ".

المواطن : "يعرق ويصاب بدوخة ."

الحاكم : "ماذا حدث ؟"

المواطن :" لا شيء ،فرغم توقّعي للموت بالسّرطان ،أو تليّف الكبد ،والمرارة أوالسّكر ،فإنّني أموت الآن من الانفجار ."

الحاكم : "أين هذا الانفجار ؟"

المواطن :في الخصيتين يا مولاي ..دمت لنا ودام عصرك ."!!!!!!!!

أمّي والدّكتور نظيف

أقيس ارتفاع الأسعار وانخفاضها بصوت أمّي لا بصوت الدّكتور "أحمد نظيف" وحكومته، فحين يأتيني صوتها عبر الهاتف — من صعيد مصر — قلقاً وحائرًا أعرف أنّ الحكومة تعكنن عليها هناك، وبدلًا من الاطمئنان عليها أطمئنّ على الأسعار، وليست الأسعار وحدها هي التي تقلق أمّي ،أو تقلق صعيدنا المركون هناك في الجنوب ببؤسه وفقره ،وآلامه وحكاياته الخرافية من العفاريت الذين يطلعون في آخر الليل،ويُخيفون الناس في بيوتهم، ولكنّها كلّ قرارات حكومتنا الرّشيدة. .

لقد اعتاد الصّعايدة على التأقلم على هذا الوضع ومصادقة العفاريت ،والنّوم معهم في فراشٍ واحد لتعلم" الهبَل على الشيطنة "لفهم الطريقة التي تتعامل بها حكومتنا الرّشيدة مع شعبها،لكن للأسف احتار عفاريت الصّعيد وغُلب حمارهم في فهم الطّريقة التي يتعامل بها وزراء التموين والتجارة والزراعة والصّناعة مع الناس، رغم أنّهم اكتشفوا طريقة "كمال الشاذلي" في مجلس الشّعب منذ عشرات السّنين ،وأعجبهم مكر الفلاح المصري في الضّحك على الناس. هم يسمّون هذه الطريقة " اللؤم " تمتّن الأمّ طفلها في الصّعيد حين يحاول دفن

رأسه في نقّته وهو يضحكها بقولها له " يا لئيم " ، وهكذا كان يجلس الصّعايدة حول التلفاز في المغربية ناظرين إلى السّيد "كمال الشاذلي" ،وقائلين بعد دفاعاته الطويلة عن الحكومة " يا لئيم "، أمّا الآن فهم يقولون لحكومة الدّكتور نظيف بأكملها :"يا مجنون .. رايح بالبلد على فين " .. بل لقد قاسموا الذّئب ليل الفلاة، وهو المستحيل بالنّسبة لعاشقة مثلاً في شعر أحمد بخيت : " هل تعرفين الذّئبَ، هل قاسمته ليل الفلاة؟"،إلا أنّه أسهل على الصّعايدة من البقاء مع الحكومة ليلة واحدة في العراء، بل إنّ الجزّار الذى ضبطوه في قريتنا يبيع لحمًا ميتًا أرحم كثيراً على الصّعايدة من الحكومة الإليكترونية التى قد تعزو عدم التوافق هذا إلى جهل الصّعايدة بالتكنولوجيا المتطوّرة .

أمّي لا تعرف ماذا تعني جماعة الإخوان " المحظورة " ولا من حظرها،ولكن يعنيها أن تعرف لماذا أوصلت حكومة الدكتور نظيف سعر كيلو الفراخ البيضاء إلى اثني عشر جنيهًا ١٢"جنيهًا" ولا يعنيها حضور الرّئيس مبارك القمّة العربية أو الإفريقية ،أو قمّة "النيباد" من عدمه ،أو حتّى القمّة التايوانية!

ولكن تعنيها زيادة أسعار اللّحوم والأسماك ،والسّمن والزّيت.

يعنيها أن تعرف من الذى يسعى لأن يقدّم الشعب المصرى طلباً بالاستقاله من وطنه ويرحل إلى بلادٍ أخرى؟!!

وأن تعرف من الذى عليه أن يبقى في هذا المواطن أم الحكومة ؟!

"مش عايزانا نجعدوا في بيوتنا .. الحكومة ديه عايزانا الهج ونسيبوا البلد .. بس نعملوا إيه يا ولدي .. من خرج من داره اتجل بجداره " . قالت أمّي ،ثمّ صمت صوتها عبر الهاتف، لكن أنين أنفاسها المتلاحقة لم يصمت .

ورغم تقادم الحكومات السيّئة على "مصر" ،فإنّ الأمر لم يصل ببسطاء النّاس في صعيد مصر إلى هذه الحالة من الغليان وطفح الكيل والتذمّر،وحين شاهدت أمّي صور الدّكتور "نظيف" ورئيس الوزراء الإسرائيلي لم تندهش، ولكنّها قالت :"عرفت الآن مكر الحكومة ديه جاي منين ". وحين ارتفعت أسعار الحديد كانت تريد شراء الحديد لبناء البيت لشقيقي المسافر ليعود ويتزوّج،ونصحها أولاد الحلال بأن تشترى الطن بثمانية آلاف جنيه ونصف(٨٥٠٠) قبل أن يصل السّعر إلى عشرة(١٠) آلاف جنيه، واشترت، ودعت بعد ذلك على أولاد الحلال و"أحمد عز" في دعوة واحدة متسائلة : إن كان أهل الصّعيد سوف يعيشون في عمرالهم بجانب وأمراض ضغط الدّم ،والكبد ،والسّرطان تمرّ عليهم كلّ

عام وتحصد أرواحهم و يكتشفون سبب الدّاء قبل الرحيل بأسابيع ."

لكنّي أكدت لأمّي أنّ الدكتور"نظيف"يهتمّ بالصّعيد ورصد سبعة عشر مليارامن الجنيهات (١٧ منيار) استثمارات جديدة لنصّعيد خلال الثلاث سنوات المقبلة،وهناك عدّة مشروعات،فهناك مشروعان للأسمنت في "سوهاج"، ومشروع للأسمنت في "قنا"،ومشروع للكيماويات والصودا في "المنيا"،وسيتم تنفيذ طريق الغردقة — البحر الأحمر، فسألتني:من أين جئت بهذا الكلام، قلت لها :" صرّح به محمود محيى الدّين وزير الاستثمار"،قالت لي :"وزيرك ده كدّاب ورئيس الوزراء كدّاب،ورئيس الجمهورية بيضحك علينا ..وأنت كمان كدّاب، لأنّ الصّحفي الذى ينقل كلامًا يعرف جيّدًا أنّه ضحك على الدّقون أكبر كدّاب "!.

ليست أمّي وحدها تدرك هذه الحقيقة، لكن أغلب مواطني الصّعيد يعرفون أنّهم مضحوك عليهم ،كما أغلب الشّعب المصري، ولا يجدون مخرجاً لما يحدث لهم بشكلٍ يومي، لكنّ الوجوه تمشى في شوارع الصّعيد مكفهرّة ومهمومة وعيونها زائغة، تحمل الهمّ بين جوانبها وتمشي، تعيش الحياة كأنّ نهايتها غدًا، رغم أنّ المساحات الخضراء في صعيد مصر تقول:" إنّ النّاس هناك تعيش الحياة كأنّها أبدًا، لكنّ الحياة تهون أمام قسوة

حكومة تعامل النّاس كأنّهم عبيد إحساناقا "، ولا تلتفت إليهم ولا تهتمّ بهم إلّا إذا حدثت كارثة،فحين تفجّرت الأحداث الإرهابية وحدث ما حدث في حادث الأقصر الشّهير، اتّجه الرّئيس"مبارك"وحكومته إلى هناك، وبدأ الاهتمام لنقضاء على بؤر الإرهاب، ولم يكن أحد يسمع عن الصّعيد شيئًا، ولا أحد اهتمّ بأنّ البلاد التي تجاور السّد العالي نصفها يعيش في ظلام،والمناطق الموصّلة بشكل جيد بالكهرباء،تصل إليها كهرباء ضعيفة جداً - وحتّى الآن - والأمراض تكتسح بسطاء النّاس دون أن يعرفوا نوع المرض أو تشخيصه، ويذهبوا للعلاج عند طبيب تخصّصه " ممارس عام " ليمنحهم روشتة بها أدوية لا علاقة لها بمرضهم، لأنّه يعرف مسبقًا أنّ هذا المريض لن يستطيع صرف روشتة تتجاوز العشرين جنيهًا، وبعد أن قضى على الإرهاب - الذى هو من وجهة نظر الحكومة جلاليب قصيرة ولحى طويلة - نسي الصّعيد مرّة أخرى ، حتّى وقعت محرقة الصّعيد في القطار إيّاه ،وخرجت علينا الحكومة بقولها:" إنها عملت الواجب"!، رغم أنّ موت بسطاء النّاس في القطار إياه لم يكن بسبب الحريق وحده، ولكن بسبب الأبواب المغلقة من الدّاخل وتكدّس النّاس بأعداد مهولة، ومحاولة القوي؛لينقذ نفسه جريًا من الحريق المشتعل مصطدماً بالمئات الذين يرقدون على الأرض،وذهبت أحقق في القضيّة وكانت

أيام عيد، عشرات القرى اتّجهتُ إليها ودخلتُ بيوت ضحايا القطار، والله العظيم خجلت من سؤال النّاس عن ردّ فعلهم فيما حدث لأولادهم للخروج بتحقيق صحفي ونشره، رغم علمي مسبقًا بعدم استجابة أحد مسئولينا للنّشر، ووجدت بيوت النّاس فارغة بلا أثاث، النّاس ينامون على الأرض ويلتحفون بالسّماء، لحاهم طويلة، والأيام أيام عيد، لكن أحد الضحايا قالها لي :"ليس لدينا أضحية لنذبحها، والحكومة ضحّت عنّا بأولادنا "!.

اعتراني الصّمت والهمّ وعدت إلى "القاهرة" — سنتر الخراب— لأتأمّل تصريحات حكومة تجلس في مكاتبها المكيّفة،ولا علاقة لها من قريب أو بعيد بالصّعيد إلّا عبر تصريحاتها وهى تنطق الصّعيد بالسّين، ولو أنّ الدّكتور "نظيف" وقف نصف ساعة في شمس الصّعيد لظلّ راقداً في "دار الفؤاد" شهرًا كاملاً،وهذا لا ينفي قوّته وجبروته وهو الذى جعل أهل الصّعيد يمشون في الشوارع يكلّمون أنفسهم،وهم لا حول ولا قوة، لهم وليس أمامهم شيء في ظلّ هذا التجاهل سوى نذر النّذور،وتجهيز خمسمائة (٥٠٠) قلّة قناوي وكسرها وراء نظيف وألف (١٠٠٠) وراء الرّئيس،فهل يذهب الرّئيس ورئيس وزرائه إلى الصّعيد ويلقيان نظرة حقيقية — وليست مزيّفة لأجل الإعلام — وحلّ مشاكل الناس هناك ويوفّران

الـــألف وخمسمائة (١٥٠٠) قلة ،أم يتمّ تكسيرها، ويعتبرها الصّعايدة قالبًا من القوالب التي يأخذها الأولاد بعد خراب بيت أبيهم. !

الكلمة نجمة كهربية تلمع في الضّباب كما قال عمّنا "صلاح جاهين" ،وقبله بآلاف السّنين أنزل "ربنا" أُولى آيات قرآنه " اقرأ " وقبله الإنجيل كانت أُولى آياته " في البدء كانت الكلمة " ،وجلال الدّين الرومي يقول: " إنّ الدم ليتفجّر من فمي مع الكلمات " .

و"أمل دنقل" - أيضاً - " هي كلمة إن قلتها مت، وإن لم تقلها مت،فقلها ومت " .وهي شجاعة لا يقدر عليها كلّ النّاس .. وهمٌّ لا يتحمّله إلّا من خُلِق للعذاب والضنى ، وقد قرأت مقالا لـ"محمّد حسنين هيكل" في مجلة "الصّياد" يقول فيه :"من يملك الشّجاعة لاينتظر الموت ليمارس شجاعته . فالشجاعة الحقيقية هي أن يقف الإنسان أمام الحياة ويتحدّى،لكن كل من لا يستطيع أن يهمس برأيه إلّا بعد الموت ،وحتّى يتأكّد أن أحدًا لن يردّ عليه ، فليس موقفه هذا نوعًا من الشّجاعة " .

لذا فإنّ الشجاعة الحقيقية لحامل الكلمة تجعله يغلّب مصلحة وطنه على مصلحته الشّخصية ،ولا يعمل حسابات لأشخاص أو مسئولين أو رجال أعمال ، فقط عليه أن ينظر إلى هذا الوطن المُشبّع بالهزائم بسبب بنيه ؛ والملوث بفعل صمتنا

وتغاضينا و " اللى يجوِّز أمي أقول له يا عمّي " .. منتهى الاحترام والتقدير طالما أنّ النار بعيدة عنّا ولا تحرقنا ولا يمسّنا لهيبها ، فقط أهاجم "أحمد عز أو محمّد كمال" لأنّهما لم يضمّاني لقائمة المحاسيب، أو لم يقدّم لي " حديد عز "صفقة إعلانات تملأ أرصدة حساباتى في البنوك الأجنبية، لكنّي أتحدّث عن تسلّط "أحمد عز"،وسيطرته على القرار في مصر،وسعيه للوصول إلى أحلامه والتلاعب باقتصاد البلد ورفع سعر طن الحديد دون محاسبة،فهذا لا يهمّ طالما أنّ "عز" عزمني على عشاء في أرقى مطاعم طريق مصر إسكندرية الصحراوي،فلتنحرق مصر وتغور في ستين داهية،وهذا مثال ومثله أمثلة أخرى مثل: أن هشام طلعت مصطفي يطلب لقاء كاتب ما مثلاً " للتفاهم " حول ما سيكتبه بعد الهجوم المخطّط والمرتب له من قبله، والذى أقرّ الكاتب فيه بصفقات أدارها "هشام طلعت مصطفى" لصالحه ولتسقيع أراض . أو يحاول إقناع "طلعت مصطفى" بمشاركة "ممدوح إسماعيل" وأمواله إنشاء جريدة يرأس تحريرها (!!) .. لك الله يا مصر .

أي وطن هذا الذى يتحكّم في مقاديره رجال أعمال. !

أي قلم هذا الذى يملأه بالحبر رجال أعمال ؟!

لعلّ الكاتب السّاخر الشّهير "زكريا تامر" لم يخطئ حين قال :"من يعامل الكلمة بوصفها بغيًّا تستسلم لمن يدفع أكثر ،

يحقّ له أن يحظى بشرف الانتساب إلى النّقابة السريّة للقوّادين" .

وبعد ذلك نشتعل هجوماً على ضباط أمن الدولة ، فحقيقة رغم ما حدث من مذابح للقضاة وتعذيب في المعتقلات، وسحل في بستيل العمرانية وضرب للصّحفيين وتمليط لعبد الحليم قنديل ، رغم كلّ الحماية للفساد الذي قام بها مجموعة من هؤلاء الفاسدين والمفسدين، فإنّ ما يفعنه هؤلاء الكتّاب يفوق بكثير كمّ هذا التعذيب ، فهم يلوّثون وطنا أيضًا بطهره وأحلامه . يشطبون عقول أجيال كانت تعتقد أنّ من يُمسك بالقلم يتوضّأ قبل الكتابة .. وهذا ضد أمن الدولة .

لن أتساءل عن مواثيق شرف من قبل نقابة الصّحفيين،أو المجلس الأعلى للصّحافة، ولن أعود للسّؤال عن تحوّل الصّحافة إلى صحافة رجال أعمال ، فالإنسان المصري لم يعد ينضحك عليه وأصبح فاهمًا لما يحدث حوله،ويقرأ جيدًا ما بين السّطور .. ويلقي بطول ذراعه لصحف لم يعد همّها الرّئيسي "المواطن "وأصبح همُّها الكتابة عن رجال الأعمال وعقْد الصّفقات أو تلميع رجال أعمال لديهم قنوات فضائية للعمل مذيعين ومقدّمي برامج والحصول على عشرات الآلاف،بل الأدهى من ذلك أنّ هناك العديد من رجال الأعمال الذين يكتبون مقالات باسم صحفيين . وهذا أيضاً ضد أمن دولة

مصر .. دولة مصر " العزبة " يا عمّ أحمد فؤاد نجم، وليس "القصر" كما أبدعت ذات يوم .

ما يُكتب ضدّ أمن دولة هذا البلد أيضا تحت مُسمّى المدّ القومي والعروبة ،والقومية العربية، وهي نعبة جيّدة تبنّتها أقلام ادّعت " النّاصرية " — ولو كان عبد النّاصر على قيد الحياة — لأطلق عليهم الرصاص — فراحت هذه الأقلام تكتب شيئًا وتلعب في الحياة دورا آخر مختلفًا ضدّ هذه القومية،وضدّ العروبة بالأساس،وضد الإنسانية،فتغليب المصلحة وكبش الدراهم والدّنانير هو الأساس،بل هو القومية العربية ذاتها .. !! إذا كانت القضية الفلسطينية هي الهمّ العربي الأوّل،فاللعب عليها هذا أوانه،وهيّا بنا نكبش تحت مُسمّى الدّفاع عن الدّماء الفلسطينية، ونرصع مقالات مثل " الدّم العربي المُراق حتّى السّماء في الشفق الأحمر المتدلّي ناحية العروبة في سقوط الدّموع العربية القانية " ..وكلّ شيء أحمر طالما أنّ المسألة فيها دم وفيها كبش وملء جيوب ! وهذا ضد أمن دولة مصر .

إذا كانت القضية الملتهبة هي "الإخوان المسلمين"— فلتسرع هذه الأقلام بشنّ موجات من الهجوم على الإخوان وأموالهم ونسائهم وحياتهم الخاصّة ، طالما أنّ هذا الهجوم سيجعل مثل هؤلاء رؤساء تحرير ، والأفضل أن يكونوا رؤساء عصابات .! وهذا ضدّ أمن دولة مصر أيضًا.

إذا حاولت "حماس" فرض سيطرتها على قطاع غزّة وتحويلها إلى دُويلة ، فلا نهاجم "حماس" لأجل ذلك ، ولكن لعلاقتها بالإخوان المسلمين ، وكأنّ "خالد مشعل" هو المرشد العام للإخوان المسلمين في مصر. !

وهذا ضدّ أمن دولة مصر أيضاً .

الصّحفي الذى يحاول استغلال أزمة سياسية وفساد وزير في مصر ليحصل على أموال وهدايا وجهاز محمول مقابل نشر المستندات التى لديه ضد وزير مثل: "محمّد إبراهيم سليمان" يكون ضد أمن دولة مصر .

الصحفي الذى يترأّس تحرير صحيفة أو مجلّة قومية لا تزرع،تضر باقتصاد البلد ولا تحقّق فائدة مرجوّة منها يجب أن يسافر ليعمل في دولة صحراوية،ويترك منصبه إذا كانت لديه وطنية ويغار على مصلحة مصر؛لأنّه يعمل ضدّ أمن دولة مصر.

وصحفي يطلب من"ساويرس"صفقة إعلانية وإلّا سيكشف عن فساده ،وفساد "ساويرس" يتلخّص في أنّه صرّح بأنّه تضايق من زيادة المحجبات في مصر .!

لقد طرد"مصطفي أمين"صحفيًا من مؤسسة "الأخبار" لأنّه استلف جنيهًا من سكرتير أحد الوزراء، قائلاً بأنّ هذا الصّحفي إمّا سيتبع السكرتير في نشر الأخبار التى يريدها

والأخبار التى لا يريدها، أو لن يذهب لعمله مندوبًا في هذه الوزارة كما هى عادة هروب المدين من الدّائن .

الصحفي الحقيقى الذي يخاف على أمن الدّولة أكثر من أي شخص هو" مجدي مهنّا"، رحمه الله ، فليت المزيّفين يدركون قيمة تقدير النّاس له ويعودون إلى الحقّ .. إلى النّاس .

إن ماكنش ممتاز يدلعنى

للكاتب السّاخر الكبير الأستاذ "ممتاز القط" رؤية ثاقبة للأمور وبُعد نظر وروية، محلّل جيّد لكلّ قضايا الوطن،يستطيع أن يحلّل كما لايحلّل أحد،بل ويتفوق على تحليل البول الذى يثبت إن كنت مصابًا بالبلهارسيا أم لا، أتابعه دائمًا وأسير على نهجه وخُطاه محاولً أن أتعلّم منه،منذ أبدع في طشّة الملوخية وحتّى مقاله الذى جعلنى أبكي لثلاثة أيّام متتالية " ليه بنحبك يا ريس"،بل إن المناديل التى في بيتنا خلصت،الورق منها والقماش من كثرة دموعى، فاستغثت بالجيران الذين منحونى فوط الشارع كلّه،ولكنّها خلصت أيضًا، واقترح جيرانى أن نطالب الرّئيس "مبارك" في عيد ميلاده بمنحة من فوط بأحجام مختلفة، ونكتب في المطالبة أنّها فوط للدّموع وليست لأيّ شيءٍ آخر .. بل ونكتبها "بشاكير" .. جمع " بشكير " حتى لايتّهمنا أحد بالتّهكم على الرّيس، وعلى "ممتاز القط" .

أمّا ما جعلني أبكي بحرقة بعد قشعريرة طويلة تركها العنوان "ليه بنحبك يا ريس" وأخذت أتأمّله ماحيًا من ذاكرتي أنّ الــ٣٠% علاوة لموظّف مثل"ممتاز القط"قد تتجاوز الـــخمسين (٥٠) ألف جنيه،متذكّرًا فقط أنّ الجملة تصلح مقطعًا رومانسيًاً يجرى على لسان "هانى شاكر" يُعـــذّب به

العشّاق ليل نهار،وهو عذاب خلاف عذاب دولة الرّئيس بالطّبع، أقول "إنّ ما جعلني أفيض بدموعي جملته الخالدة:"بنحبك يا ريس . لأنّ سمعة مصر معاك أصبحت زي البرلنت .. وبيحسدونا عليك .. لأنك مننا .. دايماً ياريس كنت معانا " .

بالتأكيد أنتم تبكون مثلي، وتذهبون مثلي أيضاً لحي سيدنا "الحسين "لنشتري بالـثلاثين في المائة (٣٠%)بخورًا نبخّر به الرّئيس في عيد ميلاده، ونبخّر به أنفسنا خشية من الحسد،فرئيسنا صحّته جيدة ويتمتع بقوام رشيق، ويحافظ على البلد بشكل لم يحافظ عليه أحد من قبل ولا من بعد، لدرجة أنّ "مصر" تسير مستقيمة كالقطار وحادّة كالموس .

أمّا الذي أنهى المناديل في بيتنا من "انهمار" دموعي قول "القط" الرّائع : "إحنا ادلّعنا يا ريس في عهدك"، ولعلّ هذه الجملة هي أصدق ما قيل في حقبة الرئيس "مبارك"، فنحن "ادلعنا دلعًا فاق كثيرًا دلع حقبة عبد النّاصر، وتجاوز بمراحل دلع دخان السّادات،ولا أحد يستطيع أن ينفي الدّلع الذى تعرض له القضاة والصحفييون والعمّال في عهد الرّئيس مبارك،وحين أعدت قراءة هذه الجملة عشر مرات نزلت إلى الّشارع،وتحزّمت ورقصت عشرة بلدى لأثبت انبهاري ببلاغة

الجملة ورصانتها وقوة أسلوب كاتبها،والأهمّ من كلّ هذا صدقها . ده إحنا ادلعنا دلع " !

وبعد العشرة بلدي ذهبت إلى شارع الصحافة،وداخلي يقين أنّه انتقل إلى لوزان،وإلّا من أين جاء "ممتاز القطّ" بجملته عن عهد الرّئيس"مبارك" نسينا زمن المجاري اللي طافحة وطلمبات الميه البحّارى.. نسينا يا ريس زمن زوّار الفجر،وزوّار الصّبح والضهر والعشا .. نيسنا اللهو الخفي، ونسينا نشوف النجوم في عز الضهر" .

وقبل أن أطب في بلاعة يعرفها كلّ من يمرّ في هذا الشّارع،ما عدا "ممتاز القط" الذى يهبط بالهيلوكبتر الخاصّ به فوق مبنى "أخبار اليوم"، تأمّلت هذا المبنى العتيق منتظراً أن يمرّ الأستاذ "ممتاز القط"لأقبّل يده على الإبداع الذى تخطّاه،وأسأله عن اللّهو الخفي،هل جاء إلى مصر، ومع شارلوك هولمز أم بدونه ؟، وأسأله عن زوّار الصّبح والضهر والعشا، هل هم اختراع جديد له، وهل ستتم الاستعانة بهم مثل زوّار الفجر؟!، وهل زادت مرتباهم ثلاثين في المائة(٣٠%) أيضًا قبل ظهورهم على مسرح الأحداث !

هل لهم علاقة بوجبات الإفطار والغداء والعشاء، أم أنّهم يُضربون ولا يأكلون ؟

استنقيت على قفاي من البهجة مسرورًا بقوله :"أنت الرّئيس الذى لا يتحدّث بلغتين .. اللّي بتقوله في الغرف المغلقة هو اللّي بتقوله في العلن"وفرحت كثيرًا بأنّ كلّ ما يحدث في "مصر" بأمر الرّئيس "مبارك"، ولا أحد يدّعي أنّي أتحدّث عن السّحل، وعن إثبات الفحولة في شارع "عبد الخالق ثروت"،لأنّي سعيد بالمقال ولن أدع أحدًا يفسد عليّ فرحتي .

وقلت أكتفي بهذه البهجة لكنّي وجدت على ثلاث صفحات في نفس العدد من جريدة "أخبار اليوم"ما حدث للمسؤولين والنّاس بعد العلاوة، وقلت كفاية بهجة، ولكن وجدت صورة للأستاذ "ممتاز القط" في الصفحة الأخيرة على مقاله "العلاوة ودعم الأثرياء"،ولا تسأل عمّا كان في الصّفحة الأولى هل هو مقال أم لا؟

بالطبع مقال، وما العيب إن تعددت المقالات طالما الهدف واحدًا ؟

يتساءل فيه عن أمنيّات الرّئيس وسعادته مع أبناء شعبه بعد أن زادت العلاوة الاجتماعية،وما ضايقني وأفسد بهجتي ما كتب في الصّفحة السابعة والثلاثين (٣٧) من نفس العدد،إذ جاءت عناوين الصّفحة كالتّالي :

-"إنت عصبي ليه ؟"

-"عدم الشعور بالأمان .. التدليل الزّائد .. كثرة الهموم ."

-"الأطباء يحذّرون من تصلّب الشرايين .. السّكتة الدماغية والقلبية ."

ولكنّي تناسيت هذه العناوين عائدًا لبهجتي متبعًا عنوان مقال صلاح قبضايا في نفس العدد "الميكروباص هو الحل" لأوقفه وأصعد إليه مغنّيًا"إن ماكنتش أنت تدلعني مين ها يدلعني" واثقًا أنّ الرّئيس "مبارك" لن يقرأ مقال "ممتاز القط" حتّى لا يفسد بهجته المعتادة .

طفلة تائهة اسمها الحرّية

حين تضيق مساحة الحرّية أمامي،وتتحوّل الأصابع التي أكتب بها إلى كبريت غير قادر على الاشتعال،وحين تدخل الكلمة قمقمها وأحاول إخراجها ..حين تضيع طفلتي منّي وأنادي في الشّوارع،هل وجد أحدٌ منكم طفلة تائهة اسمها "الحرّية"؟، ولا أستطيع وقتها أن أفرد جناحي للطيران،لكنّ الرّيح لا تساعدني .. فينكسران .وقتها أدخل محارتي منكمشًا وخائفًا كتائه ضلّ الطّريق .

لعلّ أسوأ شيءٍ يواجه الكاتب في العالم كلّه أن تضيق بوتقة حرّيته ويحاول كثيرون إطفاء قلمه، وقتها يشبه الطّبيب الواقف عاجزًا أمام مريض شخَّص مرضه،لكنّه لا يستطيع أن يعطيه الدّواء، هنا يضيق العالم رويدًا رويدًا أمام الكاتب،ويحاول أن يعوِّد دموعه على الجفاف فلا يستطيع،ينظر حوله فإذا أصدقاؤه الجالسون معه ينظرون له نظرات لا يستطيع تفسيرها،فقد وعدهم بالاستغناء عن العالم والبقاء معهم في عالمهم،لكن "يوسف إدريس"و"ماركيز"و"إيزابيل الليندي"و"باولو كويليو" و"مصطفي محمود"و"خالد محمد خالد"و"لطيفةالزيات" و"محمود درويش" ينظرون نظرات غير مفهومة لصديقهم .

وقتها يعجز الكاتب عن استيعابها، كما يجدهم جميعا عاجزين عن استيعاب لحظة انكسار حرّية قلمه .

تبقى العلاقة بين الكاتب وقلمه علاقة أبدية تفوق علاقة العاشق ومعشوقته .. إذا كان خان الكاتب قلمه وتخلّى عنه وأحاله إلى "قره جوز" يحاول أن يبكي النّاس فيضحكهم عليه،فالقلم شرف الكاتب الذي إن تخلّى عنه فقد شرفه ومصْداقيته لدى نفسه، ثمّ لدى النّاس أجمعين ..كما أن إخلاص الكاتب إلى قلمه يحمّله إلى آفاق أرحب ويكشف له مناطق من العالم لم يتوقّع أن يعرفها و لم يحلم بأن يراها، لكن حين تحاول قوى تفوّق القلم أن توجّهك إلى حيث تريد، أو أن تمنع عنك ماء الكتابة وقتها تصرخ مع "نجيب سرور" :

" أدخل الاستديو أقول :

مين وطيّ ومين لسه ما وطـّاش

أحط إيدي على قلبي

وأول أوطي يقول لأ .

مترضاش "

لكنّك يجب أن توطّي لكي تعيش، ليس مهمًا أن تعيش منحنيًا، أو قعيدًا ،وعديمًا للشّرف، المهم أن تبقى وتشهر وتكتر وتصفّق!

لكن كيف لإنسان خسر نفسه، وباع كلّ شيء أن يحقق سعادته ؟ لا أعتقد أنّ الكاتب يستطيع أن يتحرّش قلمه بالأوراق البيضاء،ويلقي بأولاده كلمات صادقة إذا فقد"رجولته "، فالرّجولة أن تقدر أن تقول" لا" في وقت يخاف الجميع فيه ويقولون :"نعم"، ألا تحكي على عنترياتك أمام أصدقائك ثم تجلس أمام " جهلاء " الحكم لتقول لهم ما يريدون وتكتب ما يريدون ؟،لا أدري كيف يعيش قلم بوجهين،لعلّ فتاة اللّيل أشرف بكثير من ذلك، فهي تعرف أنّها تذهب لبيع بضاعة تقبض ثمنها، ويعرف الجميع أنّها كذلك، لكنّهم لا يعرفون أنّ هذا القلم يأخذ باليمين دولارات،وبالشّمال دنانير ودراهم،وفي النّهاية يدّعي بطولة لا يستطيعها ولا يمتلكها بالأساس. !

لا أحد يسألني ماذا تكتب، أو لماذا تكتب ؟ منذ بدأت الكتابة وأنا لا أعرف الإجابة وأبحث عنها كثيرًا،لكنّي لا أجدها، أعرف أنّ القلم الصّادق مهما تعرّضت له قُوى أكبر منه مهدِّدة أو مطالبة إيّاه بالصّمت وإلّا .. فلن يصمت،ولن يحدث مع أي كاتب مهما كان أكثر مما حدث مع "عبد الحليم قنديل" في صحراء "المقطّم"، فالكلمة تبقى لتضيء في الظّلام الذي يحاولون وضعه على عينيِّ هذا الوطن .. وحتّى إن سكت صوت أو قلم فهناك ثمانين (٨٠) مليون صوت تأبى السّكوت .. فقد فات عصر السّكوت .

لا يوجد عاقل يؤيّد حكومتنا المبجّلة، والتي تخطّت حافّة الجنون بمراحل،لكن الغريب حين تصاب الحكومة الرّشيدة ببعض العقل وتتّخذ قرارات من شأنها دخول "مصر" في دائرة النظام، وإعطاء إشارة تنبيه أو محاولة لإيقاف الكوارث اليومية التي نعاني منها .

يقف الجميع ضدّ هذا الأمر، فما إن استحدث قانون المرور الجديد إلّا وراح الجميع يطلقون عليه النّار في محاولة لإماتته بالسّكتة القلبية، رغم أنّ المواطن المصري الذى يظلّ في الشارع ما يزيد على الخمس ساعات، وهو ذاهب وعائد من عمله يدرك حجم الفاجعة التي نعيش فيها من تدنٍ في أخلاق بعض السّائقين وتسيُّب وانحلال في تصرّفات البعض،لدرجة أنّ السّائق الذى يعمل في دولة من دول الخليج،ويعود للعمل سائقاً في "مصر" يكتشف أنّ هذه الدّولة المستحدثة تمتلك نظامًا وقانونًا مروريًا يجبر الجميع على احترامه من الوزير إلى الخفير،وحتّى أهل الخليج الذين يأتون سياحة لمصر لا تجد الواحد منهم قد فتح باب السّيارة،وألقى ببقايا كيس "ساندوتشات الشبراوي" في عرض الشّارع، أو هدّأ من سرعته في شارع رئيسي وفتح زجاج سيارته وراح يلقي بكلّ ما لا

تشتهيه العين من قمامة،ولم يفكّر للحظة واحدة أن يتوقّف بجوار أي صندوق قمامة ويلقي به بقاياه،مع أنّنا أصحاب حضارة السبعة آلاف سنة ".وما تقولش إديتنا إيه مصر قول هاندّي إيه لمصر"، ونحن الذين لا نسمح لأحد بأن يزايد على وطنيتنا، ونحن الذين نحب بلدنا أكثر من أي حدّ تاني، وبلدنا دي غالية علينا قوي، وشعارات .. شعارات لا شيء سواها ينعق في شوارع العاصمة، أمّا التطبيق الفعلي والحقيقي الذى يتمّ في "مصر" الآن " إن بيت أبوك خرب خدلك منه قالب".

القانون الجديد يُعاقب بالحبس مدّة لا تزيد على ستة أشهر وبغرامة لا تقلّ عن ثلاثمائة جنيه، ولا تزيد على ألف وخمسمائة جنيه، أوبإحدى هاتين العقوبتين .كلّ سائق مركبة أو أجرة مرخّصة بالعدّاد،أو دونه امتنع بغير مبرّر عن نقل الرّكاب،أوتشغيل العدّاد، أو طلب أجرًا أكثر من المقرّر،أو نقل عددًا من الرّكاب يزيد على الحدّ الأقصى المقرّر، أو قام بنقل الرّكاب من غير مواقف الانتظار المخصّصة لمركبات الأجرة دون عدّاد .. وكلّنا يعاني من سائقي التّاكسي، فالسّائق يتوقّف أمامك بعد أن تشير له، وبمجرّد أن تنطق المكان الذي تود أن ينقلك إليه يدوس بنزين على الآخر، وينظر لك نظرة توحي بأنّه يريد أن يشتمك، لكنّه لا يجد اللّفظ المناسب لشتيمتك، أو أن تقول له وأنت في شارع التّحرير بالدّقي أريد الذّهاب إلى

ميدان التحرير فيقولك: آخذ عشرة (١٠)جنيهات،أو أن يذهب بك إلى مكان أجرته عشرة جنيهات يرفضها ويطالبك بعشرين جنيهًا بعد أن "يفرّج"عليك الشّارع، وحين تطلب منه الذّهاب إلى القسم يقول لك:"مش إحنا اللي نروح أقسام،إحنا ناخد حقنا برد القسم !"

لدرجة أنّني كنت أضحك من نفسي كثيرًا حين يتوقّف التاكسي أمامي في "لندن" فأقول له : "إدوارد رو، أو ميدان الطرف الأغر !" في الدّول المتقدّمة والتي لا تدّعي أنّها صاحبة حضارة سبعة آلاف (٧٠٠٠) سنة ولا تستند على القول، ولا تفعل شيئًا تصعد إلى السيّارة التّاكسي بكلّ تقدير واحترام،وأمامك العدّاد وتعرف في النّهاية كم تدفع؟ بل في دولة مثل "سوريا" على سبيل المثال لايستطيع سائق التاكسي أن يأخذ منك ليرة زيادة،وقد شاهدت كثيرًا في شوارعنا سائقي تاكسي يلطجون على سيّدات محترمات وأمام عساكر المرور، وبعد أن تدفع السّيدة ما يزيد على الأجرة المفترضة لابدّ وصاحبنا ماشي أن يسمّعها ما لا يخطر على أذنك .!

كما لا توجد دولة من دول العالم تعبرها سيّارات تشعر بأنّها جاءت مع "آدم وحواء"، ماتورها يصدر أصواتًا يسمعها أهل اليمن، وتمشي في الشّارع تتراقص كامرأة جاوزت الستين عامًا، لكنّها تتبع قول الأعشى:

" غرّاء فرعاء مصقول عوارضها
تمشي الهُوَيْنَى كما يمشي الوجي الوحل
كأنّ مِشيتها من بيت جارتها
مرّ السّحابة لاريث ولا عجل "

ويتوقف كوبري"١٥مايو"،أوكوبري"أكتوبر"بالسّاعات،لأنّ سيارة من مثل هؤلاء قد تعطّلت أعلى الكوبري،فإذا كان صاحب السيّارة سيتم تعويضه عن سيارته ليدفع قسطاً لسيارة جديدة فما المشكلة في ذلك؟،إذا كانت سيارة من عشرين (٢٠) عاماً تمشي على الطريق، أليس هذا كافيًا؟ !

أمّا مشروع "التوك توك" فرغم كلّ المشاكل التي نتعرّض لها بسببه،فإنه أصبح مورد رزق للعديد من الشباب الذين بلا دخل،وقد تأخّرت كثيراً خطوة تنظيمه وتلافي المشاكل والجرائم التي يسبّبها،ووضع لوحات لمعرفة المتسبّب في هذه العشوائية، فلا يُعقل أن تكون علامات تمييزه يافطات يكتبها أصحابه مثل " بجد .. أنا مستني " و " كوز محبتي لسّه ما اتخرمش " و " قاللي الوداع قلت له:إشطه " أو "إشط ااااه".

وبالتأكيد أمناء الشرطة ومسؤولو المرور بحاجة إلى تنظيم مع هذا القانون الجديد، فيجب أن يتمّ التوقّف عن استغلال النّاس بكلّ الطّرق وعدم وضعهم في مأزق الاختيار بين"الدّفع أو المخالفة"، ولكن أهمّ عيب في هذا القانون والذى يكشف عن

أنّ حكومتنا إلكترونية، ولا علاقة لها بالشّعب المصري بأنّه لا يتم الترخيص إلا للحاصلين على الإعدادية للرّخصة الخاصّة،وللحاصلين على مؤهّل متوسّط للرّخصة العادية،فهل هذا يعقل في بلد أربعين بالمائة منه (٤٠%) فيه يعانون من الأميّة،والآلاف منهم يعملون في مهنة "سائق" سواء داخل مصر أو خارجها ؟ فبهذا الشّكل سوف تزداد البطالة، ومن ثم تزداد الجرائم إزاء شباب عاطل عن الفكر والعلم وعن العمل أيضًا،ويجب إلغاء هذا البند من قانون المرور الجديد لحين يأتينا رجل مثل "صدّام حسين" ينهي الأميّة في العراق، ثمّ ينهي على شعبه بعد ذلك .!

قمّة عربية في "غزّة"

إذا كان السّيد "عمرو موسى" يدين مجلس الأمن؛والسّيد "أحمد أبو الغيط" يطالب بسرعة عقد القمّة العربية في "دمشق"،فلماذا لا يتعدون هم،ومن على شاكلتهم عن كلام الهواء هذا ويتّخذون قرارًا؟!- لا أعتقد أنّ لديهم الجرأة لتنفيذه أو حتّى القول به ــ ألا وهو عقد القمّة العربية في "غزة" للفت أنظار المجتمع الدّولي ومواجهته بما يحدث في غزّة !

أليست "غزة" أرضًا عربية؟،ثمّ إنّنا نخبرهم بتوفير مياه معدنية ماركة"إيفيان"،وكذلك خروف مشوي اسمه "الكرامة العربية"،وسيجدون فندقًا خمسة نجوم يستريحون فيه بعد ساعات من الكلام لن تؤدّي إلى شيء سوى الشّجب والتنديد واللاءات الكثيرات،ونُطَمْئِن السّيد "عمرو موسى"صاحب" لسان العرب"،وليس"ابن منظور"!،بأنّ كلّ صحف وتليفزيونات العالم سوف تنقل كلماته التي ستصبح"بردًا وسلامًا"على العرب وتطمئنهم لينامو سنوات أخرى،أو ليجلسوا أمام أجهزة التلفاز يُقَزقزون اللب والفول السوداني،وهم يستمتعون بأطفال غزة وهم يُذْبحون،وكأنّهم يشاهدون أحد أفلام الأكشن من خلال باقات الفضائيات التي يشتركون فيها .!!!!

العرب مستريحون لأنّ ما حدث في "لبنان"بسبب"حزب الله"، ومن يحدث في "غزة" بسبب "حماس" ! ولما لا فهل رايس "الخيزبون" تكذب على العرب مثنًا حين تحمّل "حماس" ما حدث ويحدث في غزة ؟!

السيدة الشّمطاء تطالب بوقف الصّواريخ التي تطلق على الإسرائيليين الطيبّين !

وتنفي علمها بما تؤكّده مجلة "فانتي فير" بأنّ "أمريكا" أمدّت فتح بأسلحة حديثة للقضاء على "حماس" بعد فوز حماس بـــستين في المائة(٦٠%) في انتخابات ألفين وستة (٢٠٠٦) .

أهل غزة (الغزاويون) لا يريدون منك شيئاً، ولايريدون عقد قمّة عربية في"دمشق"، ولايطلبون رؤية وجه السّيد "عمرو موسى" الكريم، وهو يطلّ عبر الفضائيات ليعلن تضامنه معهم ومؤازرتهم بـــ"الكلام"، فقط هم يطلبون الدّفن الكريم لموتاهم،الدفن الكريم لـــمائة وخمسة وعشرين شهيدا (١٢٥ شهيدا) وثلاثة وعشرين طفلًا (٢٣ طفلا) وثلاث عشرة امرأة(١٣ امرأة) استُشْهِدُوا في سبيل الأرض التي كالعِرض .

إنّ السيّد "عمرو موسى" يستطيع هو ومن يقودون — من القيادة— الأمّة العربية أن يطلبون من " الرّب الرّخامي " الجالس في "البيت الأبيض" وقف نزيف الدّماء ، أليس هو المُرْسَل بأمر الرّب لخلاص هذا العالم؟ !

وألستم أنتم من تمشون على صراطه، وتسعون لتنفيذ أوامره؟!

قولوا له:"إنّكم ترون كلّ يومٍ ضحايا جدد ثلثهم من الأطفال الأنقياء الذين لا ذنب لهم سوى أنّ هويّتهم فلسطين،ولا تنتظروا الإذن من حُكّامنا فهم طاعنون في السّن،ثمانينيون، ومن ثمّ فالصّمم يسدّ آذانهم عمّا يحدث في "غزّة".

لاتقلقوا إذا عقدتم قمّتكم العربية في غزة، فأنتم بذلك لا تتحدّون "الرّب الرّخامي"،بل سيوفّر لكم الحماية اللازمة،وسيصفّق لكم كثيرًا في نهاية المسرحية،لأنّه يؤمن بمواهبكم الرّائعة في فنّ التّمثيل .!!!

جمال مبارك في لندن

أخيرًا اتّخذت قرارًا ونجحت في تنفيذه،فقد قرّرت إن أنعم المولى عنيَّ وسافرت إلى لندن ألا تُلتقط صورة لي في ميدان "الطّرف الأغرّ" ،والحمَام على كتفي،أو جالسا ً على قدميَّ مادا ً يدى إلى العشرات من أجواز الحمام،رغم أنّه الأكلة المفضّلة بالنّسبة لي، خاصّة إذا كان محشيًا ومشويًا ومن عند"فرحات"، وما دعاني إلى ذلك أنّ ما من صديق قابلته إلّا ووجدت لديه تلك الصّورة الشهيرة،جالسا ً والحمام بين يديه،ولعلّ صورة "نزار قبّاني" التي التقطتها له عدسة "فاروق إبراهيم" هي الأروع بين كلّ صور العرب التي التقطت في ميدان "ترافلجار" المأخوذ من الكلمة العربية "الطرف الأغر" التي تعود إلى المعركة الإنجليزية الإسبانية التي دكّ فيها القرصان "نلسون" القوّات الإسبانية بعد أن عاد من "مصر" مدمّرًا الأسطول الفرنسي في موقعة "أبي قير البحرية"، لذا اندهش حين رفعت رأسي من على الحمّام لأجده منتصبًا في كبرياء وجبروت،فهل هناك علاقة تربط بين "نيلسون" ،والحمّام سوى (الشيّ) .

ولندن الماطرة دوما ً مبهجة دائما ً تأخذك شوارعها في الصّباحات النّدية إلى ذلك الإنسان – داخلك – والذي حملته

المدنية إلى السّهر حتّى الصّباح أمام وسائل التكنولوجيا المتطورة حتّى إذا جاء الصّباح تمطّع ذات اليمين وذات الشمال مثل كلب أهل الكهف ذاهبًا إلى عمله في ملل،وكأنّ الشّيء الرئيسي في الحياة هو السّهر، أمّا العمل فهو شيء زائد عن الحدّ وغير مقبول، بل وغير معقول !

تأخذك هذه الصّباحات إلى إشراقة مبهجة وإقبال على الحياة، حين ترى الإنجليز في أبّهة وسعادة، وهم ذاهبون إلى عملهم متأنّقين كأنّهم المصريون في ليلة الخميس المقدّسة إيّاها !

ففي هذا التوقيت من العام تبدو "لندن" مثل ساحرة تخطف بعينيها كل من يقترب منها إلى عالمها الغامض والمثير، وبدأت الزّيارة عبر مؤسّسة "مردوخ"، حيث يمتلك مردوخ — الذي يأخذ جانب اليهود — عدّة صحف تصدرها مؤسّسته وهي "الفايننشال تايمز والصن"، والتي كانت أكثر الجرائد مساندة ل"توني بلير" في حربه على العراق، التقيت "مايكل بنيتون" رئيس قسم الشئون الخارجية الذى ذكر أنّ أهم ثلاثة رؤساء تحرير لجريدة "الصّانداي تايمز" كانوا يتولّون رئاسة قسم الشئون الخارجية،واعترف بأنّ "الصّانداي تايمز" وقفت مع الحرب على العراق وإعدام "صدام"، مبررًا ذلك بقوله :" لأنّنا صدّقنا الحكومة حين قالت لنا:" إنّ هناك أسلحة دمار شامل يمتلكها "صدّام حسين"، وبعد اكتشافنا للخديعة الكبرى التي

وقعنا فيها أحسسنا بفداحة المصاب، فقد عرفنا أنّه لا توجد أسلحة دمار شامل في "بغداد"، وأنّه لم تكن هناك خطّة لما يفعله "بلير" و"بوش" في العراق؛ لذا تحوّلنا لانتقاد الحكومة بشدّة ".

أحرص كثيرًا على الاستماع إلى هذا الرّجل ليس لموضوعيّته في كتاباته فقط،بل ولتاريخه الطّويل في المنطقة العربية، وبالذّات في"مصر"والتي جاء إليها عام ألف وتسعمائة وثلاثة وستين (١٩٦٣) كمراسل حربي ، وظلّ خمسة(٥)أسابيع مع الفريق الشّاذلي في الصحراء، والتقى الرّئيس "جمال عبد النّاصر"،وحضر لقاءات "هنري كيسنجر" في القاهرة، وسافر إلى "مصر" عشر مرات بعد ذلك، كما أن" بنيتون" من الكتّاب الذين لكتاباقم تأثير كبير في "أوروبا"، وقد كتب العديد من المقالات المهمّة مثل: " القنابل لا تكون ذكية أبداً" انتقد فيه استخدام القوّة العسكرية والقنابل؛ لإحراز انتصار في الحرب على "لبنان"، ذلك أنّ القوّة العسكرية لاتفجّر الأيديولوجيات الفكريّة، ولاتكسب حرب العقول والقلوب .

وتحمل ذاكرتي مقالة عن سقوط الطّاغية "سلوبو دان ميلوسوفيتش "، حيث كتب "بنيتون" بأسلوب رائع "عندما يسقط الطّغاة يغرقون مثل الحجارة في المياه ، تُحَطّم الجماهير تماثيلهم وتقتحم النّاس قصورهم، وتحرق الملصقات المكروهة في

الشّوارع، وكما حدث لتمثال "فيليكس وزريترسكى" مؤسّس الــ" كي . جي. بي "تذر الجماهير المبتهجة رموز القمع وتختفي سطوته إلى الأبد ".

وكان ل"بنيتون" لقاء شهير مع الرّئيس السّوري "بشّار الأسد" حيث قال له الأسد:" في حال تّمت – الحرب على العراق –إنّ المنطقة ستدخل إلى المجهول،وهذا يتضمّن مشكلات أمنية وتقسيمًا للمنطقة، مع المزيد من الفقر وخلق تربة خصبة للإرهاب، إنّ نتائج هذا المجهول سوف تنعكس على دول أخرى، وفي مقدّمتها الدّولة المساهمة في ضرب العراق ذاتها ". وحول الرئيس بشار ولقاء الثلاث ساعات، قال لي بنيتون : " بشّار كان رجلًا لطيفًا، لكنّني أعتقد أنّه ذهب في الاتّجاه الخاطئ منذ ذلك الوقت، وللأسف فإنّني أتّفق مع ما قاله لي الملك "عبد الله" بأنّ "الأسد" سجين أبيه الشّخصي ،وسوف تظلّ المشكلة بين "سوريا" و"الأردن" لفترة طويلة .

وعن "جمال مبارك" قال "بنيتون" : " إنّه مؤهل للقيادة، ولو حمل بعض الأفكار الجيّدة عن الديمقراطية سوف تكون الحال أفضل، أمّا إذا خلف والده في الحكم دون أيّ ديمقراطية،فستحدث ثورة شعبية وغضب بين الناس لن يستطيع أحد إيقافه ".

ينصح "مايكل بنيتون" جمال مبارك بأن يبتعد عن السّلطة لسنوات خمس ثمّ يعود بعد ذلك ليشارك في انتخابات شرعية حتّى يستطيع أن يقبله النّاس كحاكمٍ شرعيّ ،ويتقبّلوا هذا الأمر .

"بنيتون" التقى بجمال مبارك قبل ذلك على حفل عشاء في "لندن"، وسأله – بنيتون – هل تستمد مصداقيتك من أبيك ؟

الأسبوع المقبل مايكل بنيتون يجيب عن السؤال وأنا تائه في شوارع "لندن" الشبيهة بشوارع وسط البلد، ولكن بلا حمامٍ مذبوح .!!!!

جمال مبارك في لندن "٢"

"جوهر الديمقراطية الجيدة هو التغيير "هكذا يرى"مايكل بنيتون" ،كبير كتّاب الشّؤون الخارجية في صحيفة "التايمز" البريطانية اليومية،مكملًا حديثه عن "جمال مبارك" رؤيته للحكم في مصر، وقد التقى "بنيتون" بجمال مبارك على حفل عشاء في "لندن" وسأله : "هل صحيح أنّك تستمد مصداقيتك من أبيك؟. فقال "جمال مبارك" لبنيتون : هذا سؤال ماكر، ولم يرد سوى بابتسامة ! الأكثر دهشة ماكشفه لي الكاتب البريطاني الشّهير والعالم ببواطن الأمور نظراً لعلاقاته الممتدة إذ يقول :"إنّ "جمال مبارك"يستخدم اتصالاته وعلاقاته في الخارج لتمرير نفسه،لكن دون دعم الشعب المصري، فكلّ هذه التمريرات كلام فارغ ".

في مبنى "التايمز" الذي يمتلكه اليهودي "روبرت مردوخ"،أحد أشهر أثرياء العالم والذى ساند "بلير" في انتخاباته وفي حربه على العراق، دار هذا الحديث، ولا أستطيع التّقليل من مصداقية "مايكل بنيتون"، فالرّجل كان موضوعيًا في حديثه عن "جمال مبارك"، ولم يستخدم الصوت العالي في مناقشة قضية سياسية حسّاسة مثل قضية "التوريث"،وبين سطور كلامه أشياء أكثر من التي قالها، فمعنى أنّ جوهر

الديمقراطية الجيدة هو التغيير، أنّ الديمقرطية لدينا تعفّنت ورائحتها فاحت، ووصلت هناك إلى أوروبا، وأنّ الشّعب المصري استطاع أن يكشف تناقض النّظام المصري في أقواله وأفعاله، فهو يتحدّث عن الديمقراطية على الورق فقط ، مثل مشروع "تاكسي العاصمة"، لكن حين يتم التطبيق فلا يطبق شيء سوى الكثير من العنف .. الكثير من الألم .. الكثير من القهر الذي يهبط على رأس المواطن الغلبان الذي سوف ينتهي به الأمر بأن تكون اللّحظة الوحيدة التي يمارس فيها حريته وهو في التواليت !

أمّا مسألة مصداقية "جمال مبارك" وأنّه يستمدّها من أبيه،فلا أرى أنّه سؤال ماكر كما قال "جمال" لبنيتون، فكارثة عظمى أن يستمد "جمال مبارك" ديمقراطيته من أبيه، ذلك أنّ الشّعب المصري لايثق في أحد من أفراد النّظام الحالي، ومعنى أن يستمد "جمال" مصداقيته من " ماض " فسيكون إذن بلا مصداقية .

أما مسألة أن يمرّر "جمال مبارك "نفسه من خلال علاقاته في الخارج،فلا أعتقد في هذا الأمر، ليس ثقة في "جمال مبارك"،ولكن ثقة في الشّعب المصري الذي لن يسمح لأحد بأن يمر دون موافقته، فكما يقول المثل الشّائع " بانت لبتها "،بل وانكشفت وانفضحت، فقد ضُحك على الشّعب المصري طوال سبعةٍ وعشرين عامًا (٢٧ عاماً)، ولّما نظر إلى

"الولايات المتحدة الأمريكية" لمساعدته وجدها تعطيه عنى قفاه، ولا أعتقد أنّ أيّ شعب عربي سوف يقبل نظامًا برعاية أمريكية مرّة أخرى، أشبه بالبرامج التي ترعاها شركات مساحيق الغسيل لتغسل أكثر سوادًا وهبابًا، وليس بياضًا !

هكذا طوال زيارتي إلى "لندن" لم أكن أفكّر إلّا في مصير الشّعب المصري وقدرته في حبّه لهذا الوطن،وحرصه على أن تبقى مكانته كما هي وسط كلّ الشّعوب العربية وشعوب العالم .. فيا أيّها الشعب لا تخذل مساحة الحب التي داخلنا مرّة أخرى،ولاتكتفيء بأن تتمدّد الكلمات داخلك ثمّ تخرج في الصّباح رافعًا إصبعك كأعضاء مجلس الشّعب، موافقًا على كلّ شيء، فلا أحد في العالم سوف يمنعك من ممارسة حقوقك مهما زادت مساحة القهر والجبروت، فسوف يأتي نهار تضيء فيه الشّمس رغم كلّ السّتائر الحديدية التي تحيط الأفق الذي نعيش فيه.

اركض نحو ساحات الحريّة وتحمّل،واصبر مثل صبر الأنبياء الذين ظلّوا يعانون طويلًا حتّى يستمع إليهم النّاس،فالشّعوب أبقى من حكّامها، وإن أمدّ "الله" لهم فذلك ليجعلهم عبرة لمن سيأتي بعدهم، فلا تحزن .

حاول الرّئيس العراقي الرّاحل "صدّام حسين" الاستفادة من انتصار جيش المسلمين بقيادة "سعد بن أبي وقّاص" في"القادسية"، وذلك بعد أن هُزم المسلمين في معركة " الجسر " من قِبَل الفرس، واستخدام القوّة الناعمة فأنتجت المؤسّسة العامة للسّينما والمسرح في بغداد فيلم" القادسية "لعبت بطولته "سعاد حسني وعزت العلايلي وليلى طاهر"؛ وعدد من الفنّانين العراقيين منهم:" هالة شوكت وشذى سالم وطعمة التميمى ومحمد المنصور"،وإخرج الفيلم"صلاح أبو سيف"،وكتب السّيناريو"محفوظ عبد الرحمن"، وراجع مادّته العلمية "عبد الحميد جودة السحّار،وعلي أحمد باكثير وأحمد كمال محمد .."وحاول صدّام حسين أن يحفّز جنوده في حرب الخليج الأُولى ضد "إيران"، والتى استمرّت ثماني سنوات . .كان يحاول إعلام الرّئيس الملهم أن يؤكّد للنّاس أنّه يحارب المجوس، وهذا حديث لا صحّة له من الواقع، فقد كان "سعد بن أبي وقّاص" يحارب لإعلاء كلمة "الله"، وكان شعار حربه "شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا رسول الله،" وإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، لكن صدّام حسين كان يدعو النّاس إلى عبادة الحاكم الفرد الذى لا يخطئ !

يتحكم بجبروته وطاغوته في "خلق الله" مذلًا العرب من قبل رجل غبي أنجب ابنًا أغبى مثل "بوش"، واستعراض هذه الحرب والفيلم الذي شاهدته أخيرًا عنها يكشف أنّ "صدام حسين" لم يكن يقدّم فنًا لأجل الفن، ويكشف عن أنّ الذين يهاجمون "إيران" ويصفونها بالمجوسية يهاجمون لأجل أهداف أخرى، فبعد أن قرّر أمير المؤمنين "عمر بن الخطاب" بتولّي "سعد بن أبي وقّاص" قيادة الجيش بعد "أبي الوليد" وبعد مرض "المثنّى بن حارثة" ، البطل المغوار في حروب فارس وبعد أن مات موصياً بفرسه "الشموس "، والتي لم يكن يركبها إلا وهو ذاهب إلى حرب، إلى "سعد بن أبي وقّاص" الذي خرج على رأس أربعة آلاف مقاتل كانوا يزيدون في كلّ المدن التي يعبرها، وعسكر في قلعة " القـــدُيس " التي تشرف على بلدة " القادسية "، وقد أوصى "المثنى" بفرسه على الرّغم من محاولات المحيطين به إيغار صدره ضد "سعد" فإن قال:"والله ما أردناها ولاية ولا قيادة، إنّما أردنا مرضاته تعالى .كان علينا أن نردع الفرس حين آووا المرتدين وأعطوهم الذّهب للانقلاب على الخلافة ودعمهم في ردّتهم ".

لم يهتم"صدّام حسين"بإرسال الوفود إلى"إيران والكويت"،بل سب رجاله الكويتيين في مؤتمر سياسي عربي أمام الجميع، لكن "سعدًا" قبل أن يحارب قرّر إرسال وفد إلى

الفرس يعرض عليهم الإسلام،أو دفع الجزية،أو الحرب،وليعرّفهم أكثر، لكن ملك الفرس " يزد جرد الثالث " أهانهم وطلب أن يخرج منهم أشرفهم فخرج له رجل أتى " يزد جرد " ليحمله سوار تراب – (مقطف تراب)– ويقول له:"هذا ردّي عليكم"،لكن رستم قائد الجيش الفارسي صُدم حين عرف بذلك،وحاول أن يلحق بالوفد لكنّ الأوان كان قد فات، فهذه كانت البشارة على انتصار المسلمين، فقد أعطاهم ملك الفرس تراب فارس .

لا امرأة كانت تستطيع أن تقول لا لصدّام حسين ولا لأولاده، بينما حين عادت "سلمى" أرملة المثنى بن حارثة إلى "سعد بن أبي وقّاص" أكرمها وتزوّجها .. وعلى الرّغم منها ذهبت إلى السّجن وفكت قيود أبا محجن وهو واحد من أشجع الفرسان،لكن كان يعاقر الخمر ويقول فيها الشّعر، وهاجم "سعدًا" ليلة زواجه من "سلمى" بالكلام الخارج والصوت العالي متّهمًا "سعد" بأنّه لن يحارب،وإنّما جاء لمشاهدة الشّمس والقمر والزّواج بالنساء فسجنه "سعد"،فكّت قيوده لطلبه وإصراره على الحرب مع جيش المسلمين، وبالفعل قتل عددًا كبيرًا من الفرس، وسامحه "سعد" على كلّ ما فات قائلاً له : "الحسنات يذهبن السيئات ، وعفا الله عمّا سلف طالباً من الله أن يسامحه" ،وأعطاه فرسه " البلقان "،فأقسم "أبو محجن" ألّا

يقول شعرًا في الخمر مرّة أخرى، ذلك أن "سعدًا" كان مصاباً في رجله و لم يستطع النّزول إلى الميدان؛ بل كان يوجّه الجنود ويرسم الخُطط ويشاهد المعركة من أعلى القلعة،وهذا عكس قائدنا "صدّام حسين" الذى أخرج له المخرج الكبير توفيق صالح" — (ولا أعرف لماذا) — فيلماً عن قصّة حياته، فلمّا شاهد "صدّام" الفنّان الذى لعب دوره يقول : "آه بصوت عال، حين استخراج رصاصة من جسده"،نظر "صدّام" إلى الجالس جواره قائلًا : "هل أنا قلت آه حين أخرجت الرّصاصة منّي ؟! "، قال له : لا ! فذهب الفيلم في غياهب النّسيان، و لم يعرف أحد شيئًا عنه حتّى الآن !

أُقارن الآن والفرق شاسع بين صحابي مثل "سعد بن أبي وقّاص" و"صدّام حسين" لا كأشخاص،ولكن كقائدين عسكريين أحدهما أعلى من راية الإسلام وحقّق له مجداً لا يزول، والآخر داس على راية الإسلام والعروبة ، وأدخل إلى بلاده احتلالا أمريكيًا لا يزول، فقد كان مبدأ "سعد بن أبي وقاص " الشّورى " في كلّ شيء وعدم اتّخاذ أيّ قرار منفردًا،وحين سيّر له "عمر بن الخطاب" جيشًا من الشّام قوامه ستة آلاف مقاتل بقيادة ابن أخيه "هشام بن عتبة" فرح سعد،وحين جاءه "القعقاع بن عمرو" الذى قال فيه أبو بكر الصّديق " لا يُهْزم جيش فيه القعقاع بن عمرو "، زادت

سعادته،بل إنّ القعقاع جاءته فرصة تاريخية لقتل "بهمن جازورى "، الذى هزم المسلمين في معركة " الجسر "، فأخذ بن عمرو بثأر إخوته، قتل كذلك "رستم" قائد جيش الفرس والذي له جملة مهمة لم يلتفت إليها "صدّام حسين"؛لأنّ الجبروت يعمي البصر والبصيرة، فقد قال في ملكه "يزد جرد"،الذى رفض أن يذهب حرسه الخاص للدّفاع عن فارس خشية على حياته: " هذه نهاية الذين يفكّرون في أنفسهم لا في شعوبهم ".وقد أصرّ على القتال حتّى النّهاية، ورفض الرّجل أن يستسلم للمسلمين .

في هذه الحرب أصرّ صديق "رسول الله صلى الله عليه وسلم"، "عبد الله بن أم مكتوم" على حمل اللّواء، واشتكى "المغيرة بن شعبة" إلى سعد، لأنهّ يمنعه من الجهاد، وقال:" أنا الذي أنزل الله في " عبس وتولّى "، ثمّ إنّ اللواء يُرفع بالسّاعد وليس بالعين، واستشهد وهو حامل اللّواء، بل إنّ "سعد بن أبي وقّاص" منح "سراقة بن مالك" وعد "رسول الله"ـصلى الله عليه وسلّمـ ، الذى ظلّ يطارد الرّسول وصاحبه حتّى غاصت قوائم فرسه في الأرض، فوعده "الرّسول" بسوار كسرى — وهو من الذّهب الخالص — إن كفّ عن مطاردته، وبالفعل بعد هروب ملك ساسان من فوق عرشه كالنّساء، ثمّ مقتله أعطى "سعد" لسراقة السّوار، بينما أمر الرّئيس "صدّام" جنوده حين دخولهم الكويت بسرقة الأخضر واليابس!! .

تحرّرت أرض السّواد من الكفر ودخلت في الإسلام، فما الذى يهدف إليه هذا الهجوم؟!،ولماذا تحوّل الأمر الخاصّ بالفيلم الإيراني " إعدام الفرعون " إلى ثورة ضدّ إيران؟ !،ولماذا لم تستخدم القوّة النّاعمة ؟!،ثمّ ما الذى فعلته الدّولة إزاء الفيلم الإسرائيلى "روح شاكيد" الذي أهان أسرانا وجنودنا الشّهداء ؟! .. صرّح وزير خارجيتنا الهمام " لا فض فوه " وبال من الخوف حاسدوه : "إنّنا لن نقطع علاقتنا مع إسرائيل لأجل فيلم "، وهي الجملة التي تشبه الجملة المعتوهة التي قالها رئيس الوزراء بأنّنا نعطي لإسرائيل الغاز بسعرٍ مخفّض، لأنّها خرجت من سيناء و لم تأخذ شيئًا من الغاز المُسْتَخْرَج منها !

المسألة أنّ الرّجال الذين حاربوا في القادسية " رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه "، أمّا الرجال الذين يحكمون وباسم شعبوهم يَخْتَلِفُون ويزيّفون الحقائق، هم رجال لا يوفون بعهد الله ولا يُفَضّلُون من الدّين إلا "وأطيعواالله والرّسول وأولي الأمر منكم" يعلقونها جدارية في بيوتهم .

فهل أطاعوا الله والرسول فينا حتّى نطيعهم ؟!!!!!!!!!!!

ماذا سنقول لأولادنا عندما يسألوننا: كيف بُرئ رجل قتل أكثر من ألف نفس،رجالًا ذهبوا للجهاد لأجل لقمة عيشهم،والبحث عن مصدر رزق يعول أولادهم،ويمنع عنهم الجوع والفقر؟ !

رجال ذهبوا لشراء بطاطين تحمي أولادهم من برد الشّتاء وعذاب اللّيالي وهم يتكتكون !

كيف نقبل أن نكون ضد كلّ الدّيانات السّماوية التي أنزلها الله من فوق سماواته السبع منادية بالعدل والحق والخير والجمال؟

كل السلطات التي في العالم سوف تنتهى ذات يوم، ولن يبقى إلا وجه "الله الواحد القهّار"، فكيف تخدعنا سلطة لا يعني لها فقراء مصر الذين يغمسّون رغيف العيش بعرقهم ودموعهم،ويحملون همّهم طوال اللّيل مفكّرين في رغيف العيش الذى قد لا يجدونه غدًا شيئًا !

لقد بات المواطن المصري مدركاً بعد الحكم ببراءة "ممدوح إسماعيل" ونجله والمشاركين في قتل ما يزيد على الألف نفس في العبّـارة، أنّه لا يعني شيئًا بالنّسبة للنّظام، إن مات حرقًا أو غرقًا أو جوعاً ، والمواطن المصري تشير أصوله وتاريخه إلى أنّه

لا يُبقى على من لا يُبقى عليه، ولا أعرف إن كان النّظام يقدّر ذلك ويتغابى، أم أنّ سطوته وجبروته جعلتاه لا يهتم في كثيرٍ أو قليل بالمواطن المصري .

شرفنا مذبوح وقضاؤنا مكلوم، ومصرنا تتحوّل إلى قلعة يسكنها أولئك الذين يتحكّمون في خلق الله، يأخذهم الجشع وحبّ المال والنّفوذ إلى طمس الحقّ، لكنه لن يُطمس حتّى لو أرادوا،ولا ينبغى تجاهل قول ابن عروس:"ولابُدّ من يوم محتوم،تترد فيه المظالم، أبيض على كلّ مظلوم، أسود على كلّ ظالم" .فقد بات هذا اليوم أقرب ممّا يتوقّعون، ستخرج "مصر" في جلبابها المغزول من قطن أرضها؛لتقف في وجه كلّ هؤلاء الذين باعوا الوطن واستبدلوه ببخت على ضفاف لوزان وجنيف.

لم يعد لدينا خيار ، فوطننا مسروق من بين عيوننا، وأرضه تُروى بدماء آبائنا وأولادنا .. والسّيف ينام كلّ ليلة فوق حناجرنا لنصمت، فلينم من ظلمنا،قرير العين مرتاح الضّمير،صافي القلب بلا أنين، فالصّعايدة — الذين لي شرف الانتساب إليهم — كانوا قد تخلّوا منذ زمن عن مسألة "الثّأر"،وأصلحوا ذات بينهم بالحسنى والمعروف، لكنّي لا أعتقد أنّهم سيقبلون الصّمت رداءً، والجبن غطاءً فيما فعله "ممدوح إسماعيل" في أولادهم وآبائهم، فهذه أجساد لا تأكلها

أسماك القرش والحيتان باستمتاع، ولكنّها تأكلها بألم، فهي أجساد التحفت السّماء على أرصفة وموانئ ليس لها أسماء ولم تُزَفّه ذات يوم مثل أجساد الذين حُكم لهم بالبراءة .

ناموا قريري العين، فأنتم في وطنٍ لايُضيء فيه إلّا من يدوسون البسطاء .

تلك هي "مصر" الآن، وصدّقوني الآن مؤقّتًا، وإنّ غداً لناظره قريب .

عمرو موسى: يحب حسني مبارك

في لقائه مع قناة "الجزيرة" أجاب الأمين العام لجامعة الدول العربية السّيد "عمرو موسى" حول سؤال ل"حسين عبد الغني" له، إن كان سيُرشح نفسه للانتخابات الرئاسية في ألفين وأحد عشر(٢٠١١)، إن لم يرشّح الرّئيس مبارك نفسه ؟ قال: هذا الموضوع لا أريد أن أتحدّث فيه، أريد أن أضعه جانبًا، وهذه هي الإجابة الثّانية المبهمة ل"عمرو موسى" بعد الإجابة الشّهيرة المتهربة حين سأله الرّاحل "مجدي مهنّا" نفس السّؤال فأجاب وقتها:" إحنا فين والانتخابات فين"،وهذا هو السّيد"عمرو موسى" الدّائم التهرّب من القضايا الدّاخلية الخاصّة بمصر،ولا أعرف هل يستطيع رجل أن يحلّ مشاكل العرب،بينما هو عاجز عن الإجابة عن سؤالٍ خاص بمصلحة بلده ؟

ثمّ متى كان الهروب من هذه القضية هو الحلّ لها ؟ وإذا كان السّيد "عمرو موسى" قد أجاب بأنّه لن يرشّح نفسه تقديرًا منه لقيمة الرّئيس "مبارك" مثلًا، أو أنّه سوف يرشّح نفسه إذا أراد النّاس ذلك، أو أنّه لا يريد ؛ لأنّ السن لا تسمح له، وكلّها إجابات دبلوماسية كان يستطيع استخدامها، لكن عادته خانته هذه المرّة .. السائل طلب منه الإجابة بنعم أو لا في حالة إن لم يرشّح الرّئيس نفسه، وهذا يعني الانسحاب من الحديث في

المسألة سواءً بالسّلب أو الإيجاب،لكن شخصًا خبيثًا مثلي سوف يدّعي أنّ ملامح السّيد "عمرو موسى" أثناء إجابته بالرّفض على هذا السّؤال توحي بأنّ هناك شيئًا ما بينه وبين الرّئيس "مبارك".. هناك خلاف لا يريد له أن يطفو على السطح..نار ترقد تحت دخان أناقة "عمرو موسى" وأدواته الواثق منها، وحين أتحدّث عن أدواته، فهذا يعنى الكرافت الشيك والسيجار الكوبي واللغة السلسة الجيّدة، والتّخاطب الإعلامي الذي لا يجيده حتّى رؤساء تحرير الصحف القومية أنفسهم !

صحيح أنّ السّيد "عمرو موسى" أضاف للقضايا العربية الكثير عبر خطب تتراكم في مبنى جامعة الدّول العربية، وقبلها وزارة الخارجية تؤمّن مستقبل عمّ "حسين" بائع الترمس الذى يستطيع أن يبيع فيها ترمس لثلاثين عامًا مقبلة، وَلَكَمّ أتمنّى أن يجلس "عمرو موسى" إلى نفسه ،ويتذكّر ماذا فعل بعد أنهار الكلام التي لم تحلّ شيئًا ؟

مازالت "فلسطين" ما هي منذ ستين عامًا، أطفالها يتامى .. أنهارها دماء .. لياليها حزن قاتم وسواد دائم، نساؤها ثكلى،رجالها قتلى يُحْتَسَبون عند الله شهداء بإذن الله .

مازالت"مصر" كما هي بحروبها الدّاخلية وتطاحنها وأزماتها،وأسعارها التي لا يطيقها فقراء الوطن، ولا يوجد

تصريح واحد من السّيد "عمرو موسى" يخبرنا فيه أنّ قلبه مع الوطن .

مازالت العراق تغوص في تطاحن وحروب دائمة واحتلال وإذلال لأهلها، والسّاسة يتربّحون من القضيّة، وكلّ يوم يزداد عدد القتلى.. ماذا فعلت الجامعة العربية لأجل العراق؟ .. لا شيء.

مازال الحكّام العرب على كراسيهم جالسين، بالحديد والنّار يحكمون، لشعوبهم قاهرين، والجامعة العربية ترحّب وتؤيّد ويجلس أعضاؤها على الموائد يجمعهم فقط غذاء جيد وطعام نظيف، ومياه معدنية، أمّا أن يجتمعوا على شيء، ولو حتّى على طريقة الدّكتور "فتحي سرور"موافقة" فهذا ما لا به يرغبون .

مازال "شعبان عبد الرّحيم" يحب "عمرو موسى"، ومازال "عمرو موسى" يحبّ "حسني مبارك" أيضًا .

مذكرات بوش

ها هو "أوباما" يتربّع على حكم أقوى دولة في العالم، وها هو "بوش" يسكن وادي النّسيان، لكني أكثر النّاس انتظارًا وحرصًا واهتمامًا وانكبابًا على قراءة مذكّرات الرّئيس الأمريكي جورج بوش الابن – حين يكتبها – خاصّة ما يتعلّق بالمنطقة العربية، وبالوضع الدّاخلي الأمريكي الذي تردّى كثيرا في عصره ، وأثق أنّها ستأتي صريحة وواضحة بيانًا وتبيانًا ، ولا مذكّرات عمّنا الرّاحل "عبد الرحمن بن خلدون"، وثقتي تنبع من صلفه وغروره وجبروته ووجهه المكشوف ،وعيشه في عالم آخر غير العالم الذي نعيش فيه .

أُجزم بأنّ الرّئيس "بوش" سيبدأ مذكّراته باعتذار للإنسانية على ما فعله بها، وأنّه لم يكن يتمنّى ذات يوم أن يكون "نيرون أو نابليون أو هتلر"،ولكنّ العناية الإلهية أرسلت له مرسومًا تطلب منه فيه تحرير العالم من البرابرة العرب ..الذين راحوا يأكلون لحم بعضهم بعضًا..وأنّ الرّب أخبره بأنّ الخلاص من العرب هو خلاص للبشرية لكي تعيش في سلام !

ولا أعرف قواعد النّبوة التي يتّبعها الرئيس الأمريكي، فهو مرّة يدعم "صدّام حسين" في كلّ طغيانه وجبروته ، ويعرف أنّ صدّام كان يقتل من حوله كما تتسلّى فتاة تجلس في كازينو

منتظرة حبيبها، وفي يديها وردة تمزّق فيها بين "بيحبني" .."ما بيحبنيش ".!!!!

ثمّ بعد ذلك يعطي الضّوء الأخضر لصّدام لاحتلال دولة مجاورة، وبذلك يثبت "بوش" بربرية العرب، وأنّه كان يجب التخلّص منهم ووأدهم، كما كانوا يئدون بناهم في الجاهلية الأولى ..ومرة يذهب إلى بلادنا العربية راقصًا بسيف العروبة بريئا من ذنبها، كما زوج أمّ هاملت في المسرحية الشّهيرة .

سيكتب الرّئيس "بوش" في مذكّراته "ابنتي العزيزة جينا سامحيني على آلاف القتلى الذين سُحلوا في "بغداد" ، فقد كنت أبحث عنهم الناس الطيبين هناك الذين يعيشون في شارع "الرشيد" ،وفي شارع "المنصور" ، وعن أصدقاء لكِ تحدث عنه ذات يوم "أبي نوّاس" ، ولم أكن أعرف أنّ الدّماء ستصل إلى الرّكب هكذا .. ولكنّي تورّطت أمام العالم في العراق مثل أفغانستان مثلما تورطنا قبل ذلك في فيتنام، ولم أعرف وسيلة للخروج من العراق ، فرُحت أهذي مثل شاعرهم نزار قبّاني "تورطت فيك توحدت فيك "، ولكنّه كانت تورطًا بالدّم والرّصاص ..سامحيني يالورا ".

وهكذا نكتشف أنّ "بوش" كان إنسانًا وشاعرًا .. طيبًا وودودًا يحبّ العرب ليس العرب البرابرة طبعًا الذين هم نحن — ولكن الذين كان يبحث عنهم في العراق.. وبسبب هذه

الحرب ارتفع عجز الموازنة الأمريكية إلى أربعمائة (٤٠٠) بليون دولار لعام ألفين وثمانية (٢٠٠٨) ،وكان العجز مائة وثلاثة وستين (١٦٣) بليون دولار في ألفين وسبعة (٢٠٠٧) ، كما الهار الاقتصاد الأمريكي بشكلٍ واضح ، بينما انتعش في عهد "كلينتون" فقد قلّص "بوش" بوجهه الذي يشبه وجه ستالوني في رامبو كلّ شيء في أمريكا .

وإذا كان "بوش" لم يسمع بجحًا، فلا بدّ أن تقول له على مثَل "ودنك منين يا جحا ".و"جحا" هذا شخصية أسطورية ياعمّ بوش ، ويجب أن تهدي إليها مذكّراتك ،كأن تكتب مثلا :

"إلى جحا ..الذى يشبهني كثيرًا ، أو إلى جحا الذي حاولت أن أجعله مثلي في الذّكاء ورجاحة العقل !"

الغريب أنّي بعد أن أنهيت قراءة مذكّرات "جورج دبليو بوش" لم أجد فيها ذكرًا لاسم "بن لادن" ..فهل ما زال بوش يبحث عنه بعد أن ترك البيت الأبيض؟! .. أم أنّه سيغفله في مذكّراته ؛ لأنّ مجرد ذكر "بن لادن" يسبّب له الكوابيس ليلًا،أو لأنّ "بن لادن" يكشف عجز أقوى مخابرات في العالم التوصّل إلى مخبئه ،بينما استطاع صحفي لا يملك سوى قلم الذّهاب إلى هذا المخبأ ، والجلوس إلى"بن لادن"ساعات، وهو "روبرت فيسك"!!!!! .

قد تكون هذه المذكّرات مذكرات رئيس أمريكا، لكنّها لن تحمل قيمة مثل مذكّرات كيسنجر مثلًا؛ أوحتّى بقيمة مذكّرات المرأة الغولة "جولدا مائير"،فلم يعد الشّعب الأمريكي راغبًا في تصديقه مرّةً أخرى بعدما اكتشف أنّه"انضحك عليه "،كما أنّ الوضع الدّاخلي تدهور كثيرًا في عهد بوش الابن،بل إنّ صحيفة "النيويورك تايمز" أقرّت بأنّ الأموال التي خُصّصت لبرامج اجتماعية كرعاية المسنّين ومساعدة الفقراء وبرامج المساعدة الغذائية تمّ تخفيضها،لذا ننصح "بوش" بعدم كتابة مذكّراته،فقط عليه الجلوس في مزرعته يداعب كلبه ، ويتعلّم تقمير البامية والبطاطس في الصينية ، هذا إذا لم يخرج له من يوصي بتعيينه في المجالس القومية مثل الدّكتور "عاطف عبيد" !

فاصل ونواصل .. ولكن بعد ترك الرئيس الأمريكى للبيت الأبيض، وكتابته لمذكراته لنعرف أين ذهب بن لادن ؟

Happy valentine day.. احتفل العشّاق بعيد الحب، تزيّنت شوارع مصر باللّون الأحمر، الفتيات الجميلات تأنّقن في ملابسهنّ الحمراء الزّاهية، كلّ شيء كان مبهجًا إلّا شخص واحد كان يتمنّى الاحتفال بعيد الحب، عيده هو عيد المؤخّرات، يهتمّ كثيرًا بهذا الأمر، لكنّه كان في مكان بعيد يوم عيد الفلانتاين .

قصة تتجاوز خيال روائي مثل نجيب محفوظ، وحكايته لا تُصدّق حتّى لو أخرجها "حسن الإمام" في فيلم سينمائي .

تُرَى ماذا تحمل الأيّام المقبلة لرجل المؤخّرات ؟!

من أكثر الأشياء التي أثارتني وأدهشتني حوار "سفّاح المعادي" مع جريدة " نهضة مصر" .. قال كاتبه الزميل "محمّد حسنين": إنّه حوار ع الطاير، ويبدو أنّه يتشبه بأنّ القبض على السّفاح جاء على الطّاير أيضًا، فالرّواية مكذّبة من قِبَل شهودها قبل أن تبدأ، والحيلة عبيطة من شاب يمارس العادة السرّية أمام مدخل إحدى العمارات، ويمسك به مخرج تليفزيون متّهمًا إيّاه بأنّه لص ويمارس الرّذيلة، هكذا أخبرت الشرطة شعبها العظيم،وللمرة الألف يكتشف الشّعب المضحوك عليه زيف الرواية، ويخرج مخرج الإعلانات؛ليؤكّد أنّه لم يُقْبَض على

الشابّ وهو يمارس العادة السرّية، وعلى الرّغم من أنّ خيالنا المريض تقبّل هذه الرّواية الساذجة،وكأنّ صاحبنا استعرائي،حسب المرض النّفسي الشّهير الذى يميل صاحبه إلى التعرّي، فاضطرّ لفعل ذلك في مدخل إحدى العمارات، رغم أنّ "مصر" تعج بالمراحيض العامّة والخاصّة، وعلى الرغم من أنّ مصر تمتلئ بالخرابات والأماكن المهجورة، وعلى الرّغم من أنّ شيئًا يتعلّق بالجنس لابد من راحة ذهنية وعقلية له دون أيّ قلق، ذلك ما تؤكّده الطبيعة البشرية، وما يؤكده جميع علماء النّفس الذين ظهروا على الأرض .

لكن خيال شرطة مصر لديه أقوال أخرى وعلماء آخرون،ولو كنت في مكان وزير الداخلية لأقمت محاكمة عاجلة لهؤلاء الضّباط الذين يفشلون في "تأليف"حجج مقنعة للنّاس إزاء العديد من القضايا التي تشغل الرأي العامّ في مصر،ولاقترحت عليه تعيين مؤلّف روايات بوليسية،أو سيناريست يقدّم لهم الحبكة جاهزة ومتوضبة، دون الحاجة إلى حكايات عن العادة السرّية، وكأنّ السّيد الضابط مخترع هذه الشائعة كان يقرأ " الوِشاح في علم النّكاح " أو " رجوع الشيخ إلى صباه " الذى يخترع صاحبه الشيخ النّفراوى قصة ساذجة مفادها : أنّ أخت المأمون نامت مع رجل مجنون يُدعى بهلول، و لم يعرف الرجل أنّ هناك من سيأتي بعده بمئات

السّنين ؛ليثبت أنّ بهنول المعادى قد قبض عليه يمارس العادة في المدخل !.

السؤال العبقرى في أحوال "محمّد مصطفى" الشّهير بسفّاح المعادي مع نهضة مصر .. هل أنت سفّاح المعادي ؟

" والله العظيم أنا السّفاح اللّي دوَخت الشرطة " .

هذه الجملة بمفردها تقلب التحقيق رأسًا على عقب، يجب أن تتوقّف النّيابة عندها ، وتحصل على الشريط المُسجّل عليه هذا الحوار المنشور في نهضة مصر في العدد ١٥٤١ بتاريخ ٢٠٠٩/٢/١٣ ، لأنّها تثبت براءة الشاب "محمّد مصطفى" من هذه التهمة، فلايوجد سفاح في العالم يعترف بهذه الطريقة إلا في أفلام إسماعيل يس، ثم يتباهى بأنّه "دوّخ الشرطة". هنا يقع هذا الشخص تحت تأثير خيال مريض لإثبات الذّات، ولتحقيق وجوده الذى لا يتحقّق في ضوء عالم يسوده التكالب على الشّهرة وحب الظّهور بشكل غريب .

بالتأكيد هى إجابة ساذجة لا تخرج من مجرم دوّخ الشرطة في طول مصر وعرضها لأكثر من عامين، وأبسط الأمور أنّها إجابة لمريض نفسي يسعى إلى الشّهرة وحبّ الظهور وإثبات رجولته بأى طريقة، ثم إنّ صاحبنا يقول بأنه يلعب دور الأب والأم، فيقترب من أي فتاة جميلة ويضربها على مؤخّرتها، وكأنّ الأب والأم حين يقرّران تربية ابنتهما يضربانها على

مؤخّرتها"عندما أجد فتاة تسير بالطريق العام أجدها شديدة الأنوثة والجمال. يبدأ عندي تفكير في أن أعاقبها بدلًا من الأب والأم ،فأقوم بضربها على مؤخّرتها زي الأب ما بيعمل مع أولاده الصغار .. أصل الحتة دي في البنت أكثر منطقة تثير الشّباب " .

هذا الشاب هادئ الملامح، البسيط في ملبسه، السّارح بعينيه إلى لاشيء ، المحدّق في أشياء لا نراها، لا يمكن أن يكون المجرم الذي أفزع الفتيات وأسكن الرّعب في قلوب أهاليهنّ، وهذا التّحليل ليس لصورته المنشورة فقط ولكن تأكيدات جيرانه بأنّ محمدًا مهذّب وخجول، وطيب، ولا يُعقل أن يكون وراء هذا الأمر .

قضايا عديدة تحاول الشرطة لدينا استخدام التلفيق والظّلم البيّن فيها،ومنها قضية سفّاح بني مزار وهذه القضية التي أحمل فيها وجهة نظر خاصّة قد لا تعجب الكثيرين، وهي أنّه لا يوجد شيء اسمه "سفّاح المعادي"ولكن هذا وهم وقضية سعت لترويجها بعض القيادات بشكل كيدي ضد اللّواء إسماعيل الشّاعر، الذى ذاع اسمه وصيته ودوره في الفترة الأخيرة، ومن ثم فإنّ عجزه عن القبض على هذا السفاح يعني فشله في استتباب الأمن في قاهرة المعزّ، ومن ثمّ لا يستحقّ المناصب التي يتولّاها من مباحث العاصمة وحتّى مساعد أوّل وزير

الداخلية،وهذا ليس دفاعًا عن الرّجل الذى لم أره مرة واحدة في حياتى ولا أعرفه ولا يعرفنى، ولكنّها محاولة للّتركيز وسط غبار يتناثر ويغطّي على كلّ الأشياء في موجة الصّوت العالي التي نعيشها الآن، فالعديد من منافسيه لا يقبلون أن يحقّق "إسماعيل الشاعر" كلّ هذه المصداقية وسط الشّارع المصري،لذا نتمنّى أن يطلق سراح هذا الشابّ المسكين ويعود إلى أمّه وأخته، فالسّفاح ليس "محمّد مصطفى" والسفّاح لا يوجد في المعادي، ولكن هناك عشرات السّفاحين في شارع الشيخ "ريحان" وفي "لاظوغلي" .

أصحاب الأطراف

سوق العقارات في مصر يواجه أزمة حقيقية، لا أحد يعرف حتّى الآن ماذا يحدث في مصر ؟ فالقاهرة تعيش على شفا حفرة من أزمة اقتصادية كبيرة ، هي بين شباب حائر يريد أن يكفّ عن التلصّص على الفتيات في الشّوارع، وإكمال نصف دينه، والزّواج في شقّة بسيطة ومناسبة ، وبين أسعار تتجاوز دخل محدود الدخل وعالي الدّخل، والذي بلا دخل، والذي لا أحد يعرف من أين يأتيه كلّ هذا الدّخل؟!

دخلت الشركات العقارية الخليجية مصر (إيفاد وداماك وإعمار والفطيم والبابطين وأملاك وغيرها) على اعتبار أنّ مصر هي السّوق المناسبة للاستثمار العقاري في الفترة الحالية، فأسعار أراضيها مناسبة لهم،مهما ارتفع سعرها،بل ويعتبر سعر المتر هنا أرخص بكثير من أيّ مكانٍ آخر، ومن ثم فهم لن يخسروا شيئًا في شراء الأرض،وتأتي بعد ذلك تكلفة البناء والتجهيزات،وهي تأخذ هذه التكلفة من جيب المصري الذى يدفعها مضروبة في عدّة أضعاف إضافة إلى تكلفة التجهيزات وتكلفة الحملات الإعلامية وجميع المصاريف مضافا إليها مكسب هذه الشّركة،ومن هنا ترتفع أسعار كلّ المواد المستخدمة في البناء ، وفي النّهاية يجد المواطن نفسه في مواجهة

كلّ هذه الأزمات بمفرده، فيلجأ إلى قروض التمويل العقاري،والتي يدفعها مضاعفة عبر فائدة مركّبة ، فأنت مضطر لأن تأخذ باليمين وتدفع باليمين والشّمال وكلّك حسرات،ولكن المُطَمْئِنْ في الأمر والمضايق لكثير من أصحاب شركات الاستثمار العقارى في مصر ، هبوط أسعار العقارات وتراجع الطّلب عليها ، إذ تؤكّد دراسة اقتصادية أعدّها المجلس الاقتصادي الإفريقى في "القاهرة" بأنّ القطاع الاقتصادي على أعتاب أزمة حقيقة تتمثّل في عدم تماثل المعروض العقارى مع الطلب، فالمطلوب إسكان بسيط أو عادي للشّباب الذى يبدأ حياته والموجود إسكان فاخر على أطراف القاهرة الكبرى،وكأنّهم يؤسّسون لبلد آخر يُحاط بسياج يفصله عن أهل مصر الحقيقيين ، وهم محقّون في ذلك ، فالحياة مع الناس البيئة الذين تتكسّب من حياهم الأفلام السينمائية ، ويتفرّج عليهم ساكنو الأطراف ، لا يجب عليهم الاقتراب من أصحاب الملايين إلا بوابين أو كنّاسين !

أصحاب الأطراف يعشقون الاستمتاع بالحياة عى البعد،وقد ضحكت كثيرًا من دهشة "عبد الباري عطوان"،حين حكى لى في "لندن" أنّه التقى سيّدة مصرية وسألها عن أحوال مصر وعن ناس مصر ، أجابته بأنّها لا تحتك بالنّاس ، ذلك أنّها من الإليت لذا دهنت زجاج سيّارهّا ،لكي لا ترى هؤلاء النّاس

ولكي لا تحتكّ بهم ، ولم أكن أعرف أنّ ستائر السّيارات أو الزجاج الفيميه يعزل ناسًا عن ناس ، لكن ماذا تقول في أناسٍ لا يريدون الحياة مع النّاس الطبيعيين ؟

بالتأكيد المجانين وحدهم يعيشون منعزلين، فإذا كان سكّان الأطراف يرتاحون كثيرًا لحياتهم هذه، فإنّنا نطمئنهم ليرتاحوا أكثر بأنّ الكساد الذى يواجهه سوق العقارات في مصر وهبوط الأسعار لن يصل إلى أن يستطيع سكّان مصر أصحاب العشوائيات ، أكلو الزائد على حاجة الجزار،شراء شقق أو فيلل في الأطراف مثلهم،فطبيعى أنّ الفرق كبير بين من يأكلون أطراف الفراخ، وبين من يسكنون أطراف القاهرة .. المسألة مسألة أطراف يا صديقي !

ونـــس



الطّـــاووس

الطاووس يمشي الهُوينا في الأرض،يحسّ أنّه يملكها.. يمتلكها، يديرها بإصبع قدمه الصّغير .

الطاووس يدخل ويخرج منتشيًا لا صوت يعلو فوق قراراته،ولا كلمة تعلو فوق كلمته، خليفة الله في الأرض ،يهشّ البشر كذباب بيده بأريحية فائقة،مؤكّدًا أنّ الذى يبقى هو الذى يؤمن به ، يقدّس قراراته،يحترم رؤاه الفكرية والسّياسية .

ليست للطاووس آراء فكرية أو سياسية ، خليط من نشارة الكلمات عن الدّيكتاتورية والتسلّط ومساندة الظلم ، والوقوف في وجه الحق لا لأجل شيء سوى "كرسي" من الجلد .

لكن هذا الكرسي يستحقّ ، ثمنه يتجاوز المليون جنيه كلّ شهر،خلاف الأبهة والعظمة والمصالح والأحلام المزيّفة التي لن تكسبه درهما ولا دينارًا بعد أن تنفصل " الغراء " عن الكرسي الذي يجلس عليه .

الطاووس لا يؤمن بالكلمة .. لا يعطيها قدسيتها، لا يحترم قسم الله بها "ن والقلم وما يسطرون" لذا راح يأتي بمن لا يقدّرون قيمة الكلمة لمساندته، لابدّ من خنق الكلمة الصّادقة الحرة .. لابدّ من مطاردتها .. لابدّ من حبسها في قمقم،وإلقائه في بحر الظّلمات .

الطاووس لم يكن يتخيّل أن يتحوّل العصر إلى فضاءٍ مكشوف واهمًا ألّا أحد سوف يقف في وجهه ويقول له: "لا" .

الطاووس راح يخترع الحكايات ويؤلّف القصص عن أوهام لا يستوعبها عاقل عن العدل الاجتماعي والدّيمقراطية والمساواة وإرساء السّلام في الأرض ، لكن كان هناك صوت زاعق يقف في وجه زيفه .. يعرّيه ، يلقي بقشرته الخارجية في الصحراء .. يكشف وجوهه المتعدّدة والمزيّفة .

الطاووس لا يستمع لأحد .. لا يؤمن بالشورى .. كلّ من حوله خطّاؤون إلّا هو،هو يعرف مصلحة البلد ومصلحة الأمّة ومصلحة الشعب .. هو دائم التّكرار بأنّه يعرف ما يريده النّاس، وما يريده النّظام في نفس الوقت،ومَن حوله يعرفون أنّه " يجهل " كل " هذه الأشياء، وأن الهدف الرئيسي "كرسيه" فقط، وهو — يا عيني — تائه بهذا الكرسي، حائر لا يعرف ماذا يفعل، مثل حامل الكرسي في قصة "يوسف إدريس" الشّهيرة لا يعرف أين يضع الكرسي، لكنّه يعرف — جيدًا — ماذا يفعل لمن وضعوه على الكرسي!.

العيب ليس عيب الطّاووس، ولكنّه عيب الذي أراد تكريمه فأجلسه بعضًا من الليالي المظلمة على " الكرسي" . فما الذي يعوزه الطّاووس أكثر من .. من كرسي .

– وفاة طفلة بالعمرانية بسبب استعمال زيت شعر مجهول المصدر أثناء استحمامها بمساعدة والدتها التى اشترت هذا الزّيت من سوق التلات لإزالة القشرة لدى ابنتها..حيث توقّفت عضلة القلب لدى الطّفلة بسببه، هل سمعت حكومة رجال الأعمال بسوق التلات ؟!

– انشغال الصّحافة المستقلّة بقضية طلاق "أيمن نور" و"جميلة إسماعيل" يكشف إلى أي مستوى وصلت ؟.

– حين تموت جاموسة أو يلقى جمل حتفه في الصّعيد والريف " يلحقوه " بالسّكين أثناء زفرات الموت، بينما علماؤنا الأفاضل يستكثرون إنقاذ إنسان يُزرع جزء له من إنسان ميت ذلك لأنّ " جزء مخه " لم يمت بعد !

– دخل مريض إلى صيدلية لشراء فيتامين حديد، قال له الصّيدلي : لا يوجد، سأله لماذا ؟ أجابه بأنّ سعر طن حديد عز وصل إلى ثلاثة آلاف وخمسمائة جنيه(٣٥٠٠ جنيه)، فقال له المريض : ولماذا لا تستورد حديدًا تركيًا ؟ أجابه الصّيدلي بأنّ الحديد التركى "رفع" أيضًا ووصل إلى ثلاثة آلاف وثلاثمائة جنيه (٣٣٠٠ جنيه)، وبعدين "مهنّد" ما عملش إعلان عن الحديد التّركي حتّى الآن، حتّى تقنع النّساء رجالها بشرائه !

- الأمن يحذّر البهائيين من العودة إلى بلدهم في "سوهاج" ويشارك في طردهم، ويطارد شباب ٦ أبريل .. ما رأيكم دام عزّكم أن يترك الشّعب البلد للأمن، ويرحل بحثًا عن وطنٍ آخر؟

- اتّهام "فرانك جافني" رئيس ومؤسّس مركز السّياسات الأمنية في الولايات المتحدة الأمريكية، الرئيس الأمريكي "باراك أوباما" بأنّه مسلم متخفٍّ ؛ لأنّه رفض تقبيل زوجة الرّئيس الفرنسي "ساركوزي" في قمّة العشرين الأخيرة ، يؤكّد أنّ الوسط الفنّي كلّه مسلم " معلن ".

- قام ضابط بكمين شبرا بضبط ٢ كيلو حشيش داخل أتوبيس نقل عام دون معرفة صاحبهما، ولعلّ هذا هو سبب ترنّح أتوبيسات النقل العام ذات اليمين وذات الشّمال!!!! .

- منح اتّحاد المنتجين العرب لجامعة الدول العربية جائزة "فارس الإعلام العربي ٢٠٠٩ " للأمير الوليد بن طلال،وذلك لحضوره واستثماراته في مجال الإعلام في العالم العربي والخارجي،وكلّنا يعرف إنجازات الأمير في إفساد السّينما المصرية واحتكارها والسّيطرة عليها..وكما يقول المثل " بفلوسك بنت السلطان عروسك ".!!

- حين يكتب "مأمون فندي" في "الشّرق الأوسط" بتاريخ ٢٠٠٩/٤/١٣ قائلًا : " كتّاب الحرس الثّوري موجودون اليوم في العديد من صحف مصر، وهناك صحف مموّلة بالكامل من الحرس الثّوري، وبعض رؤساء تحرير صحف الحرس الثّوري يسافرون على أهمّ طائرة للحكومة المصرية " ، وهو هنا يقصد طائرة الرّئاسة طبعًا. وحين يضيف " عندما كتبت مقالًا عن اللّوبي الإيراني في صحيفة "الشّرق الأوسط"،وتبعته بعدّة مقالات عن اللوبي الإيراني مرّة أخرى وفي مصر، قامت الدّنيا ولم تقعد . والآن اكتشفوا أنّ "إيران" مش برا، وأن إيران اللي جوه أكبر من إيران اللّي بره،وأنّ هناك شبكة كاملة من خلاياها في القاهرة يموّلها " المال الطاهر " والطاهر بمعنى القادم من "طهران" كما ذكرت في مقال سابق شاليهات وعزب وعذاب وعيون ما تنام، على رأي شادية ".

حين يُكْتَب كلّ هذا عن "مصر" وصحافة مصر، ونضع رؤوسنا في الرّمال " تبقى أنت أكيد .. أكيد في مصر "، عندما يصمت الزّملاء الذين نعرفهم واحدًا واحدًا، ويعرفون أنّنا نعرفهم، ويعرفون أنّ "افندي" يقصدهم فيبقوا أكيد أكيد في "الوحل " وليسوا في مصر .

- البعض يعتقد أنّ "نجيب ساويرس" يخسر حين يبيع أسهم "موبينيل " لشركة " فرانس تليكوم "، لكن بعد المليارات التي حصدها من جيوب المصريين برفع سعر الدقيقة ها هو يحصد مكاسب أخرى ببيع أسهم الشركة، وأريد أن أسأله عن

العشرين مليون مشترك الذي صدّعنا بهم، والذين يستطيع بهم بناء مصر وحل كلّ المشكلات ، لماذا تخلّى عنهم ؟، هل لأنّه حقّق ما يريد من شركة اتصالاته، ولينفلق المصريون واللّي مش عاجبه يشرب من البحر ؟!.

وماله نشرب يا سيدى .

- القراءة للشّاعر الكبير والكاتب " المتحضّر " الدكتور "نصّار عبد الله" تختلف عن القراءة لأي كاتب آخر -- على الأقل بالنّسبة لي-- عرفته وتتلمذت على يديه في الجامعة،وتعلّمت من كلماته بعد تخرجي، لكنّي حزين على "الشاعر" الذى أسقطه الدكتور "نصّار" من أوراقه، لعن الله السّياسة يا دكتور .

كشـــــــــري

عدت بعد زيارة إلى خارج مصر استمرّت أسبوعين هادئاً ومرتاح البال ومنظّم التفكير، صافي الذّهن، وحين خرجت من مطار القاهرة أحسست أنّني وقعت في طبق كشري !

يحدث هذا معي كلّما سافرت في رحلة عمل خارج مصر،فعلى الرّغم من أنّ البلاد التي أسافر إليها سواء عربية أو أجنبية بها زحام وتكدّس مرور ومظاهرات وأزمات، لكنّها ليست مثل طبق الكشري، ولا أبالغ إذا قلت:" إنّي سافرت إلى "لبنان" لتغطية الحرب هناك وعدت، فوجدت مصر كأنّها في حرب مثل جنوب لبنان ، وحين عدت من "جنيف" قرّرت الذّهاب إلى الصّعيد ، إذ يصعب المجيء من حدائق الشّعر إلى غابات الأسمنت ،وكنت أتمشّى في شوارع "لندن" مثل صعيدي هبط القاهرة للمرّة الأولى في حياته، ونُشِلَ في أتوبيس نقل عام، و لم يعرف أين يذهب ولا ماذا يفعل .

وتوقعت ألّا يُختصر قانون المرور في مثلث وشنطة تشبه شطّة الكشري حتّى وجدت سياراتنا،وقد انتظمت كلّها بمثلث يلقي به السّائق أو صاحب السّيارة في العربية من الخلف،تمييزًا للسيارات المصرية عن غيرها ، وكأنّها علامة مميزة مثل العلامة التي تُمَيّز بها عبدة الشيطان ذات يوم !

ولم أستغرب الأمر فالحكومة المصرية لا تستغني عن طبق الكشري على مائدتها كلّ يوم؛ لتمنح المصريين الخلطة السحرية متفوّقة على " أبو طارق " فتطبق قانون المرور لتنظّم البلد، ثمّ تترك الشوارع مدمّرة تعلو وتهبط السّيارات فيها كأنّها قول امرئ القيس :

" مِكَرّ مِفَرّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ معًا كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطّهُ السّيْلُ مِنْ عَلِ."

فأنت تُفاجأ خلاف الكسر والهدم والحفر بمطبّ صناعي صنعه رجل من دماغه دون الرّجوع إلى أحد ، لتجد سيّارتك انقسمت جزءين، أحدهما في أسفل سافلين والآخر في أعلى عليين ، أو تجد اختراعاً آخر توصّل إليه النّاس وهو أن يجعل المطب سفلياً مثل العمل السفلي،حيث تجد نفسك وقد سقطت بك السّيارة إلى أسفل ودُمرت السيارة حتّى إذا جئت لتبديلها ذات يوم وجدت أنّ الثّمن المناسب لها هو ثمن عربة كارو !

وقد كتبت قبل ذلك عن الفكرة الجيّدة لقانون المرور لو سارت الأمور كما طبيعتها لا كما تريد الحكومة، أن يكسب رجل أعمال عشرات الملايين على قفا المصريين من شنطة ومثلث، ثمّ بعد ذلك يصدر وزير الدّاخلية قرارًا بتوزيع الحقيبة مجانا !

وإن لم تكن المسألة كذلك فكيف امتلأت الأسواق بتلك الحقيبة وبأشكال وأسعار مختلفة من خمسة وعشرين (٢٥) جنيهًا حتّى ثمانين(٨٠) جنيهاً،وهل استطاعت الشّركة تصنيعها في أربع وعشرين (٢٤) ساعة مثلًا ، طرحها من شمال مصر إلى جنوبها ومن غربها إلى شرقها .. إن لم تكن هناك اتّفاقات مُسبقة ، فإذا كانت الحكومة تريد لها مائة جنيه من كلّ مواطن لديه سيارة فتستطيع تحصيلها دون الحاجة إلى ذلك ، ثمّ أي مواطن هذا الذى يستطيع استعمال حقيبة الإسعافات الأوّلية هذه ، وهو لا يعرف الفرق بين معالجة الكسر والجزع والجرح، وإذا وقعت حادثة لمواطن أصيب — لا قدّر الله — في ظهره فالطّب من أول "أبي قراط" وحتّى طلاب كليات الطب يقرّون بعدم حمل المصاب إلّا من خلال سيّارة إسعاف ومتخصّصين حتّى لا يكون مصابًا في عموده الفقري ثمّ ندمرّه بطريقة حملنا له ، فإذا كان هذا المصاب به هذه الإصابة ورفعته وفتحت حقيبة الإسعافات الأولية للبحث عن إصابات وإسعافه بها ومات بسبب ذلك، من يتحمّل المسئولية الجنائية.. الحكومة أم المواطن، أم الحقيبة الحمراء ؟!!

الكشري أيضًا ينطبق على تصدير الغاز المصري لإسرائيل،فلها بأسعار مخفضة وأقل من السّعر المحدّد عالميًا بكثير، والسبب أنّ الحكومة تخشى أن تحوّلها" إسرائيل" إلى طبق

كشري، مع أنّ الكشري ابتكار خاص بنا، والقرارات في هذا الأمر متخبّطة مثل طبق الكشري بالتمام، فلا تعرف إن كانت العقود دائمة لاتجدّد ، ولا تعرف من وراء هذا القرار، كل يلقي بالمسألة على غيره من المسئولين مثلما يلقي الأرز المسئولية على المكرونة، وتلقي المكرونة المسئولية على العدس، مع أنّ المسئولية كلّها تقع على " الشطة ".!!!

الكشرى أيضاً في مسألة التوريث، فالرّئيس ونجله ينفيان هذا الأمر على إطلاقه، و"أسامة الباز" و"زكريا عزمي"،ورئيس الوزراء كذلك، وأفعال الرّئيس ونجله تؤكد أنّ التوريث ماضٍ في طريقه ولن يعيقه أحدٌ.. وكلّ كـتّاب مقالات صحف العالم يؤكّدون التّوريث في مصر، ومع ذلك لا يعرف أحد الحقيقة، لكنّ الحقيقة في " الدقة ".

الكشري أيضًا في مقالات رؤساء تحرير الصّحف القومية،يفرشون سجاجيد مطولاتهم للرّئيس ونجله، ويزايدون على حبّهما سواء كان الأمر بكارتونة بلح أو " ليه بنحبك يا ريس " .

والرئيس المسكين يتألّم أشدّ الألم على هذه الاختيارات لرؤساء تحرير يحاولون تجميل صورته أمام النّاس فيسيئون إليه .. ويبحث عن رئيس تحرير مثل "موسى صبري" يمتلك الموهبة التي يختفي النفاق بين حروف كلماتها .

الكشرى كذلك في قضية العبّـارة ، فبينما تحتفل أسماك القرش والحيتان بذكرى ألف وثلاثين (١٠٣٠) جسد التهمتهم،صدر حكم القاضى ببراءة "ممدوح إسماعيل"،بل ودافع البعض عن "ممدوح إسماعيل"، وقال:" إنّ هذا هو حكم القضاء ولا يحقّ لأحد أن يتدخّل فيه، وتعطي منى الشاذلي الفرصة كاملة لمحامي ممدوح إسماعيل (٨٠% من وقت البرنامج)وتمنح الآخرين ٢٠% لإلباس الباطل صوت الحق،حتّى صدر حكم السجن عليه ، أليس هذا قضاء مصريًا،وهذا قضاء مصري؟ !

أليس "كشري " أن يتحوّل أكثر من ألف مصري إلى كشري .. ويقبض آخرون من "ممدوح إسماعيل" ليكتبوا عنه مقالات تصوّره على أنّه البريء من دم ابن يعقوب ؟ !

أعذر هذه الأقلام فهم يميلون إلى الكافيار والسيمون فيميه،ولا يرغبون في أكل الكشري .!

والكشري ينطبق على حال المواطن المصري، ولكنّه هذه المرّة كشري يُـحشى في رغيف عيش، فهو المواطن الوحيد في العالم الذي تحشوه الحكومة ليل نهار بقراراها وتُميته بالسّكتة القلبية والدماغية، وتحرص على إصدار قراراها ليلة الخميس المقدّسة حتّى تعكنن عليه في البهجة الوحيدة التي يحرص عليها كلّ أسبوع دون أن تتدخّل فيها حكومتنا المصونة .

إذن مصر الآن تعيش في طبق كشري حجم كبير، ومعاه مُلحق بالكمالة وأرز باللّبن بس من غير سكر، فبعد أن تتذوّق الأرز الماسخ ترزعك الحكومة على قفاك قائلة : "وكمان عايز تحلّي"!!!!!!!!

حركة وزوجة بحاجة إلى تأديب

- مافعلته حركة ٦ أبريل تعقيبًا على موت حفيد الرّئيس "مبارك" يكشف أنّ بها خللًا، وبحاجة إلى رجل يفهم فن الإدارة ويعرف متى يجب الصمت، ومتى يجب الكلام ؟ ويدرك بالأساس أنّ الحزن سمة توحّد إنسانية ، وأنّ الموت هو الشّيء الوحيد الذى يقف أمامه الإنسان خاشعًا ، فما بالهم حين يكون الميت طفلًا لا علاقة له بالسّياسة ، بل وأن يكون والده ابن الرّئيس بعيدًا عن الشّأن العام . وعلى الرغم من أنّني من مؤيّدي حركة ٦ أبريل ومع حقوقهم المشروعة، ومع مواجهتهم للنّظام المستبد، لكنّي أقول الآن : . "إنّها حركة بحاجة إلى تأديب" .

- حين وجدت أنّ القاضي "عبيد عبد السلام القبيسي"، في محكمة "عرعر" العامّة شمال السّعودية قد استبدل حكمًا على أربعة (٤) طلاب بالسّجن ستة (٦) أشهر،أُدينوا بالتخريب والعبث في مدرستهم إلى تنظيف هذه المدرسة لمدة أربعة(٤) أسابيع بواقع ثلاث (٣) ساعات في الأسبوع بعد انتهاء "الدوام" الدّراسي، تمّنيت أن يصدر قاضٍ مصري حكمًا على حكومة الدّكتور "أحمد نظيف"يقضي بأن تُنظّف البلد من الكوارث التي أصابتنا بسببها،لكنّي تردّدت لأنّ التنظيف سيكون بعد انتهاء " الدوام " الحياتي للشّعب المصري !!.

- قامت الدنيا ولم تقعد بسبب زواج "هيفاء وهبي" ، وها هي تقيم في مصر؛ لأنّ "هيفاء وهبي" تمثّل في فيلم "دكّان شحاتة"،ودعوني أوجّه سؤالًا لناس بعينهم : هل تختلف المرأة النّجمة التي تملأ الشاشات عن المرأة التي لا تظهر على الشاشات ؟

كيف يتحوّل الأمر بالنسبة لذات المرأة من سلعة عادية قبل الشّاشات الفضيّة والذهبية والنّحاسية إلى سلعة ثمنها عشرات الأضعاف بعد ظهورها على الشّاشات إياها ؟!!!

- طبيبة بشرية اسمها "هناء" قرّرت بعد الزواج وعشرة دامت خمسة عشر عامًا (١٥ عامًا) أن تطلّق زوجها الطبيب البيطري لأنّه أصيب أخيرًا بمرض نفسي أقعده عن العمل، لأنّ الطبيب المعالج له أخبرها بضرورة متابعة العلاج في مواعيده،وأنّه إذا زادت الجرعات فسيُصاب الزّوج بمرض نفسي .

حاول الزّوج أن يثنيها عن قرارها لكنّها أصرت ، وبعد الطلاق رفعت عليه دعوة نفقة لطفليهما،ذهب الزّوج إلى مكتب تسوية "روض الفرج" حاكيًا حكايته وطالبًا بتخفيض النّفقة؛ نظرًا لمصاريف العلاج الباهظة.طبعًا هذه الطبيبة محترمة، راعت العشرة وقسم "أبي قراط" والإنسانية وتقدير الظروف .

سؤال:ما الذى يجعل الإنسان يتحوّل إلى زبالة، ويبيع عِشرة العمر في لحظة ؟

-١٢ مسارًا و١٢ نقطة التقاء وتعارض تمّ ترتيبها وإعادة الحياة لها في ميدان الرّماية، وتمّ التخلّص من الشكل الدائري للميدان الذى كان يربك المرور،فزاد عرض الطرق من ثمانية (٨) أمتار إلى خمسةٍ وعشرين (٢٥) مترًا لكلّ اتجاه من الاتجاهات الرئيسية في الشارع:الإسكندرية الصّحراوي والفيوم والوجه القبلي ومدينة ٦ أكتوبر ومنطقتي شرق وجنوب القاهرة ، وشارعي الهرم وفيصل .

هذا الترتيب وهذه الوجاهة يستحقان الاحتفاء والتقدير أملًا بإقامة علاقة جيّدة بين المواطن والشّارع .

-كاتبي المفضّل "محمود الكردوسي"رحلت والدته" الصعيدية "الطيبة منذ أيام ، لم أستطع أن أعزّيه ، لكني أرسلت له رسالة أقول فيها "البقاء لله..دعني أتوحّد معك في لحظة حزنك أعرفك جيدًا؛لذا فإنّك لن تختبئ في جلابية حزنك هناك،لأنّها تسكنك سكونًا أبديًا وتشاركك أفراح الحياة وأتراحها.. رحمها الله ".

- أسرة مصرية الزّوج والزّوجة في عراكٍ دائم،استمعت إلى الحكاية ، قالت الزوجة وقائعًا يندى لها الجبين،وهي مصرّة إصرار الذي لا يعرف العوم على الغرق" إمّا الطلاق وإمّا الطلاق "،فقد أرادت تسلية نفسها فتصفحت " الاستديو" في هاتف زوجها،صعقت من هول ما رأت ، قامت واقفة،جلست

مرّة أخرى والنبض يزداد والضغط يرتفع ، هناك امرأة ترقص .. عادى قد يكون مقطعا من فيلم أو من اليوتيوب ، لكنّها تعرف التي ترقص ، قلنا عادى قد تكون ممثّلة، لا إنّها تعرفها جيّدًا .. إنّها .. إنّها.

صرخت الزّوجة : "إنّها سكرتيرة البيه زوجها" .

الأكثر فجيعة للزّوجة ما حدث بعد الرّقص، بحثت في الهاتف لم تجد شيئًا بعد .

الزّوج عينه زايغة.. صحيح،السكرتيرة ترقص له .. كارثة .

ارتكب الفاحشة .. ربنا يستر .

بالتأكيد هذا زوج خائن ولا يستحقّها لكن هناك غُصّة في حلقي .. هناك جملة أتردّد في قولها .. لم أقلها لها :" الزوجة لا شيء آخر في الحياة يعنيها قدر أن تملأ معدّة زوجها.. هي رائعة في فنّ المحشي ، مبهر نَفَسُها في الأكل ، قبل الزّواج قوام وجمال – انظر إلى صورة زفافك وانظر لها الآن – بعد الزّواج لابد أن تأخذ الهانم جانبًا لكي تمرّ من الباب !

كيف يا سيدتي تتركين الفرصة لزوجك؛لكي يخونك أو يتزوّج عليكِ من أخرى تنتظره على قارعة الطريق ؟!!

عن "أسماء بنت يزيد" الأنصاريّة أنّها قالت :" يا رسول الله،إنّكم معاشر الرجال،فُضّلتم علينا بالجمعة والجماعات وعيادة المرضى، وشهود الجنائز والحجّ بعد الحجّ ، وأفضلُ من

ذلك الجهاد في سبيل الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حُسن تَبَعُّل إحداكنّ لزوجها وطلبها مَرْضَاته واتّباعها مُوافقته يعدُلُ ذلك كُلَّهُ" .

حديث غير صحيح ولحية كاذبة

قضيت عدّة أيام أبحث في صحيح "البخاري ومسلم" عن أصل الحديث الذي ذكرته في مقالتي السّابقة،وانني أنكر عدد كبير من القراء الحريصين على دين الله وسنة رسوله ـصلى الله عليه وسلّمـ وجوده،وكان عبارة عن نصائح زوجية أسداها "الرسول" ـصلى الله عليه وسلّمـ إلى السيّدة "فاطمة" أثناء زواجها من "علي بن أبي طالب" -رضي الله عنهماـ،لكنّي لم أجد لهذا الحديث أثرًا ، لذا كان يجب الاعتذار والرّجوع عنه، على الرّغم من أنّني أخذت الحديث من كتاب الإمام العلّامة "جلال الدّين السّيوطي" " نُزْهَة المتأمّل والمرشد المُتَأَهّل في الخاطب والمتزوّج " تحقيق الدّكتور "محمّد التونجي" عن دار "أمواج" -بيروت الطبعة الثانية،تاريخ الطّبع ١ يناير ١٩٨٩،مع العلم بأنّ للإمام "السّيوطي"ما يزيد على عشرة كتب متخصّصة في الجنس منها" نواضر الأيك "و" الإيضاح في فوائد النكاح "و"شقائق الأترنج في رقائق الغنج "و"رشف الزلال في السّمر الحلال "وفيها العديد من الأحاديث، وقيل: إنّ الإمام السّيوطي ألّف هذه الكتب لأنّ اللّواط انتشر بشكلٍ كبير وقتها ؛ فأراد أن يَحُضّ الرّجال على حبّ النّساء والزواج منهنّ ، والحقيقة أنّ هذا الحديث به من الرّكاكة ما ينأى الرّسول عن

قولها ، لكنّي تردّدت أمام مصدر مثل الإمام "السّيوطي"،ثمّ لا أستطيع أنا ولا اللي خلّفوني التعدّي أو الادّعاء على سيّد الخلق صلى الله عليه وسلّم .

- مازلت أذكر حين كنت أبحث عن نفسي وبدأت بقراءة تفسير "ابن كثير" وتفسير "سيّد قطب"،ومازلت أذكر كيف عرفت روحانية "ابن كثير"، وكيف نبذت عنف أبي الأعلى المودودى ، ووقعت في هوى كتابات "سيّد قطب" على الرّغم من عنفها، وقتها أطلقت لحيتي فالتقى بي مخبر ، وطلب منّي بطاقتي ، أخرجت له بطاقة الجامعة ، أمسك بكارنيه الجامعة وحكّ ذقني به منتظرًا

أن أجيبه لماذا أطلق لحيتي ؟

هل أنتمي لجماعةٍ أو تنظيمٍ ما ؟

إذا أجبته بذلك فسأذهب إلى قسمٍ ما ليعذّبني مخبر مثله، أو ضابط جاهل لا يعرف ما نواقض الوضوء ، لكنّه يتوضّأ كلّ يوم بدم إنسانٍ بريء،وإذا قلت له:"إنّ لي قريبًا مات وأنا حزين عليه"؛ لذا أطلق لحيتي سأكون أمام نفسي جبانًا .

قلت له وهو ينظر إليّ:" دقني ما بتاكلنيش .. أنت بتحكّها لي ليه ".

لم يستوعب الرّد بداية الأمر ، لكنّه ضحك بعد ذلك ، ثمّ أعطاني بطاقة الجامعة وتركني أذهب في سلام .

- لست ضدّك يا أخي،بل إنّني أستريح كثيرًا لسائق التاكسي ذي اللّحية،لكنّي أندم على الرّكوب معه حين يضاعف لي أجرة الرّكوب أثناء نزولي،أو أن يسمعني رجلًا يزعق في الكاسيت،صوته رديء،لا يرى في الإسلام سوى جهنّم وبئس المصير .

- لست ضدّك يا أخي، بل إنّني استريح كثيرًا للتاجر أو البائع الذي يطلق لحيته،ويتزيّن جبينه بزبيبة الصّلاة ، لكنّي أكرهه وأكره لحيته حين يضحك عليَّ وأكتشف أنّه باع لي سعر السّلعة مضاعفًا ، أو أنّه غشني في الميزان .

- لست ضدّك يا أخي ، لكنّي ضدّ أن تتكالب على المال وتخدع النّاس بالمظاهر الدّينية .

- لست ضدّك ، لكنّي ضدّ أن تطلق لحيتك وتتمتّع بصحّة جيدة، ثم تقف في الإشارة لتشحت جنيهًا مني،فهذا ضدّ الإسلام.

- لست ضدّك، لكنّي ضدّ أن تقف في ميدان التحرير منذ عشر سنوات ترتدي جلبابك القصير وتطلق لحيتك الطويلة وتنادى وفي يدك دفتر مزيّف " تبرعوا لبناء بيت الله "، وكأنّ هذا المسجد لن يُبنى أبدًا ، فأقسم أنّني منذ جئت إلى القاهرة وعملت بها وتزوّجت وأنجبت، والرّجل يقف أمام مكتبة "مدبولي" ويطلب منّي التبرع لبيت الله ، وطالما أنّه يتحصّن بالدين فلا أحد يستطيع سؤاله : متى تبني بيت الله ؟!!

- لست ضدّك يا أخي، لكنّي ضدّ أن " تورط " هذا الدّين العظيم لأجل التكالب على المال ولأجل مصلحتك الشّخصية،مثلك مثل مولانا الشّيخ الجليل الذى تفرّغ للفتاوى عن المغتصبة ،وحماية كرسي السّلطان وإصدار فتاوى تأييد التوريث .

- يا أخي يا صاحب اللّحية املي فيك كبير .. أرجوك لا تخذلني فيك أو في لحيتك .

أنون فتحي سرور

يجلس "عمار الشّريعي" و"سليم سحاب" و"نصير شمة" كأنّ على رؤوسهم الطير،وهم يستمعون إلى عزف الدّكتور "فتحي سرور" ، مصفّقين لبراعة الرّجل وقدرته على صياغة لحن عالي الأداء،يكمله الدّكتور "مفيد شهاب" على الدرامز،ولا تحسب أنّ رفع الأعضاء أيديهم يعني الموافقة بعد sms أحمد عز؛ولكنّها علامة توحّد وتوافق مع ما قيل وما يقال وما سوف يقال مستقبلًا .

بإنتهاء الدّورة البرلمانية ثمّ الحل المتوقّع لمجلس الشعب، يذهب الدّكتور "سرور" إلى مصيفه العامر تنتهي معزوفة طويلة عزفها المجلس الموقّر على آلام الشعب ، فقد شهدت هذه الدّورة العديد من مناقشة مشاريع قوانين، والعديد من طلبات الإحاطة التي لم يذهب ضحيتّها سوى المواطن المصري .

أدّى الأعضاء دورهم على المسرح ببراعة ، لذا يضاف إليهم أعضاء جدد حسب التعديلات الأخيرة التي تمّ إدخالها على مقاعد مجلس الشعب "٦٤ مقعدا للمرأة"، لندخل في انتخابات جديدة خلال الأشهر المقبلة .

لا أريد من كلامي هذا سوى إبداء الإعجاب بالعازف الكبير الدّكتور "فتحي سرور" — طبعًا كبير - فقد دخلت

المدرسة على يديه وزيرًا للتعليم ثم ظننت تسعة عشر (١٩) عاما أتابع عزفه تحت قبّة مجلس الشّعب الموقر، إضافة إلى أعوام أخرى مقبلة سوف أتابع بعدها عزف الدّكتور "مفيد شهاب" الذي يتعلّم الآن كيفية تطبيق النوتة الموسيقية !

في خطابه الأخير عدّد الدكتور "سرور" الحفلات التي أُقيمت على شرف المواطن المصري،حيث وصلت إلى مائة وأربعةوثلاثين (١٣٤)جلسة،استغرقت خمسمائةواثنين وثلاثين (٥٣٢) ساعة عزفًا (صعبان عليّا العازفين) ،أربعمائة وأربع عشر (٤١٤) عضوًا قالوا ما فيه الكفاية،وهم يعلمون أنّهم يؤدّون دورهم على المسرح بجدارة،والغريب أنّ الشّعب جلس يصفّق ببراعة لأروع عرض مسرحي موسيقي ممتد،للأسف لم يكمل شهوره السّبعة في هذه الدّورة (يعني حتّى ما لحقش الواد يكون ابن سبعة)، فقد أجهضه الرّئيس "مبارك" ، وكأنّه أُصيب بالملل من هذه المسرحية،وقبل ذلك أيام الملكية إيّاها كان من حقّ الملك حلّ البرلمان،لكن لم يكن من حقّه التدخّل فيما يناقشه البرلمان أو حتّى الاعتراض، تخيّل أنّ الواقعة التالية تحدث في مصر الآن ، فقد احتدم الخلاف بين الملك و"سعد زغلول" ، وكان رئيسًا للوزراء حول من له الأحقيّة في تعيين أعضاء مجلس الشّيوخ ، ناقش "سعد" الوزراء فأقرّوا بحقّ الوزارة في اختيار أعضاء مجلس الشّيوخ ، وإذا رفض الملك ذلك فسوف يتقدّمون باستقالتهم ، ولأنّ الملك لم يكن يريد أن يكون أكثر ملكية، فقد أتى بقاضٍ بلجيكس هو المسيو "فان دي بوش"

النّائب العام للمحاكم المختلطة ليحسم هذا الأمر،وتمّت المناظرة في قصر عابدين،حيث جلس الملك وسعد متواجهين وبينهما القاضي البلجيكي،وحشد الوفد أنصاره أمام القصر للهتاف لسعد ، ومن الطرائف في الأمر أن طلب سعد من الملك فتح الشباك؛ لأنّه يحسّ ضيقًا في صدره،فبادره الملك بأنّه يسمع الهتافات.

حكم القاضي البلجيكي،طبقا للدّستور المصري لصالح رئيس الوزراء "سعد زغلول"،لم يعترض الملك فؤاد لكنّه قال انحلّت العقدة ، فردّ عليه سعد : "بحكمة جلالتكم" !

وهناك القصّة الشهيرة التي طلب فيها الملك من البرلمان الموافقة له على سُلفة ليقوم برحلة هو والعائلة ، ورفض البرلمان منحه السُلفة ، ورضخ الملك و لم يعترض !

كنّا شعبًا له حقوق، فكيف تحوّلنا إلى شعب من الرّعاع !

ثمّ كيف يدرك النّظام أنّ الشعب لم يعد مضحوكًا عليه وفهم اللّيلة وما فيها ، فأي شعب هذا الذي يربطونه بمجلس لا علاقة له به،كفي فقد انكشف القناع منذ زمان طويل،وعرف زيف الممثّل وانتهاء المسرحية ، "فجياع الشّعب لم تعد تنام ، ولا آلهة الطعام عادت تحرسها "، فقد أكلوا الطّعام وتركوا لنا القمح الفاسد، وسرقوا الثّياب وتركونا عراة ..فهل نصمت ؟

كفي يا دكتور "سرور"، فالدّور فاشل والنّص غير مقنع ، والأداء ركيك .

جوجولو صعيدي

يبقى الصّعيد الحصن الأخير للشرف..حائط الصدّ الباقي أمام عوامل التعرية والخلل التي يتعرّض لها المجتمع المصري ، في كلّ مكان في مصر هناك حصون للشرف لا يستطيع أحد اختراقها،لكنّ الصعيد به أقوى الحصون التي لا تغادره ولا تنـــزح عنه،حين يتهاوى هذا الحصن فقل على مصر السلام .

مُستاء أكتب من "الأقصر" ، المدينة الجميلة المبهرة في قديمها وحديثها ، في معابدها وطرقاها ، في فراعينها الذين كانوا وفراعينها الذين لم أصدّق الحكي بداية الأمر، فأنا قنائيّ المولد والنشأة ، وتعلمت كيف أتحدّث مطأطئ الرّأس في مواجهة أيّ امرأة . أيًا كانت ، فنحن في الصّعيد لا نستطيع النظر طويلًا في وجه "حريمنا" احترامًا لتقاليد ورثناها عن الآباء والأجداد ، لذا قلت لصديقي "سمير غزال":"إنّني لا أستوعب هذه الحكايا،فأكّد لي الوقائع من خلال تردّده على الأقصر كثيرًا حيث يتولّى، والدكتورة "رنده رزق" الإشراف على مشروع القرية النوبية هناك ، وبدأ اكتشاف الأمر حين طلب من عدد من شباب الأقصر التقدّم للعمل بالمشروع الذى يقوم على الـــ (Hand Made) حيث يضعون عدّة أشياء من الموادّ الخام الطبيعية بعيدًا عن الأمراض التي تسبّبها الصناعات

الحديثة،فيصنعون من الفخار أواني ومجّات وطواجن وتحفًا مبهرة،وأيضًا يرسمون على القماش ، بل المبهر أنّهم يستخدمون جريد النّخل ويصنعون منه أشياء عصرية مثل عُلب المناديل الورقية وحامل الموبايل..وتكثر صناعة الملابس النّسائية، والغريب–حسب رواية سمير غزال – أنّ أغلب الشّباب انسحبوا من تعلّم الصنعة ، وتمّ جلب فتيات لم يحصلن على قسطٍ وافر من التعليم ، بعضهنّ خرجن من المدرسة الابتدائية لضيق ذات اليد، وأغلبهنّ لم يدخلن مدارس،وبالفعل تعلمن هذه الصّنعة ، واستطاعت بعضهنّ أن ينتجن مشغولاتٍ يدوية وهنّ في البيت بعد زواجهنّ، وكانت القرية الفرعونيّة تقوم بتسويق هذه المنتجات .

لماذا رفض الشّباب العمل في هذا المشروع وسواه ؟!

الشاب يبحث عن سائحة أجنبية عجوز يبيع لها جسده في إطار شرعيّ ، يتزوّج الشّاب الذى لم يصل عمره إلى خمسة وعشرين(٢٥) عامًا من امرأة تجاوزت الخمسين، وفي بعضٍ الحالات تجاوزت عامها الستين ، وذلك لكي يحصل على فرصة للسّفر ويحصل على أموال طائلة يقوم من خلالها بتأسيس شركة سياحة، وشراء عدّة سيارات تقدم الخدمة للسيّاح الأجانب في الأقصر،وربّما بحثًا عن جنسية أخرى خلاف المصرية ، " طز " في الجنسية المصرية طالما لا تأتي له بفلوس،وما المانع حتّى لو كانت جنسية إسرائيلية !

لا شيء أنتظره من شخص جوجولو يبيع جسده للنّساء مقابل المال .. وأين .. في الحصن الأخير لشّرف !

تركت "سمير غزال" ، وتجوّلت بمفردي أحقّق وأستقصي حتّى تعرفت إلى عدّة حالات لا تخجل من الحديث في الأمر،وكأنّ الأمر ليس عيبًا في صعيدنا الموقّر ، وكأنّ الأمر لا يعنيهم من قريب أو من بعيد ، يبدأ أحدهم مشواره في الحياة بالاحتكاك بالسّائحين وتقديم أيّ مساعدة يرغبوها any thing حتّى يجيد عدّة لغات – قولًا وليس كتابة – ثمّ يبدأ في التعرّف إلى السيدات اللواتي خاصمهنّ الزمن، وجئن ليستمتعن بالجزء الأخير من حياهّن ، فما المانع من وجود شاب مصري من أحفاد الفراعنة يكمل الرّحلة معها !

تحدّثت مع سائق عربة كارو في هذا الموضوع المخجل،وكيف يقبل " صعيدي " هذا الأمر علّق قائلًا :" أدينا مستنين فرصة تيجي .. أكيد هاتيجي خلّي الواحد يشوف الدّنيا " !

ويبدو أنّ اللّواء "سمير فرج"- محافظ الأقصر - يعرف طبيعة الشباب في الأقصر لذا أوقف استمرار مشروع مثل القرية النوبية، ولعلّ سر قدوم رجل الأعمال الشّهير "يوسف منصور" للتبرّع لمثل هذا المشروع سعيًا منه لتحفيز الشّباب وإيجاد فرص عمل حقيقية لهم بدلًا من بيع أجسادهم ، ومن حبّ الرجل في

مدينة الأقصر اتخذ له بيتًا فيها، وقرّر تقديم عدّة مشروعات خيرية للمدينة،وضحكت من أعماقي حين وجدت "سمير فرج" يجلس مع "ياسين منصور" في القرية النوبية لتوقيع عقد دعم لهذا المشروع، فإذا بسمير فرج يوقّع دعمًا لمشروعٍ آخر يشرف عليه ويرعاه بنفسه !

كدت أطيل الحديث مع رجل الأعمال الخيِّر الذى جاء لدعم مشروع تعمل فيه فتيات طيّبات شريفات رائعات الصنعة عن دور رجل الأعمال في مصر، وأفسّر له أسباب سخطنا على رجال الأعمال،لكنّي توقّفت إزاء ما يفعله المسؤولون عن المحلّيات،وعن هذه المسرحية التي شاهدها في مدينة الأقصر .. فلعلّ الأسباب الحقيقية لغياب دور رجال الأعمال الحقيقيين لا تعود إليهم ولكن لبعض من مسؤولينا الذين يريدون من رجل الأعمال أن " يرمي " أمواله في المكان الذي يريدون !

قبل هذه الواقعة بدقائق حكى "يوسف منصور" حكاية لها العجب،ولها العجب لأنّها حدثت في مكتب مسئول في حكومة مصرية ، حيث ذهب "يوسف منصور" إلى اللّواء "عبد السّلام المحجوب" — حين كان محافظًا للإسكندرية — وقدّم له شيكًا لدعم المشروعات في الإسكندرية،وبعد عام استدعاه المحجوب وأخرج له من دُرجه الشّيك وقال له : لم أصرفه لأنّي لم أحتج إليه ، فقد وجدت تبرعات كافية وأنا أشكرك على تعاونك ، على الرّغم من أنّ أحدًا لم يطلب منك ذلك !

وسط البلد

" ذات مرة كنت قادمًا من مطار القاهرة وعبر السّائق في وسط البلد وفوجئت بأنّ أغلب محالها العتيقة تحوّلت لمحلات أحذية،وصارت واجهة أغلب المحلّات الزجاجية تتكدّس بالأحذية ، ولا أعرف لماذا أحذية بالذات "!

قالها "محمد حسنين هيكل" ثمّ صمت أثناء مشاركتنا في إحدى الدورات الصحفية في مؤسّسة هيكل، وقبل هذه الجملة وبعدها يحملني الإلحاح لدرجة تتجاوز القلق والأرق معًا كلّما مررت في شوارع وسط القاهرة، المدينة الخديوية التي تحمل طرازها الفريد والمميّز عن غابات الأسمنت التي بنيناها حديثًا .. وكثيرًا ما تجاوز معي الأمر إلى الصّعود لسطوح بعض عمارات وسط القاهرة،لكن العشوائية لم تكن أبدًا في السّطوح،العشوائية في داخل الشّقق نفسها، فأثناء هبوطي لا أستخدم الأسانسير لأرى التشكيل البنياني من الدّاخل لهذه التّحف الفنية،فأكتشف أنّ أغلب الشّقق عبارة عن مخازن لقطع غيار السيارات ولمحلات الملابس والأحذية، أو أنّها شقق مغلقة منذ عشرات السنين،ولا تعرف كيف يترك أصحاب هذه الشّقق تلك التحف المعمارية ويذهبون إلى السكنى في غابات الأسمنت،كيف يسكنون

الأرض الخافّة ويرفضون السُّكنى على كوكب بديع مرصع بالنّجوم؟!!!

أمّا المخازن، فلعلّ الداعي لاستخدامها كذلك قلة إيجارها حيث يتراوح بين ١٣ جنيهًا و٧٥ جنيهًا في الشهر، وأين يجد أيّ تاجر مكانًا لتخزين بضاعته مقابل هذا المبلغ الضّئيل؟!

منذ أيّام شاهدت مزادًا لمساحة تصل إلى ألف متر عبارة عن بدروم ودور أرضي ست(٦) غرف ودور أول أربعة عشرة (١٤) غرفة كانت ملكًا لأحد رجال الأعمال الذين ملأوا الأرض شهرة ومالًا ذات يوم،ورحل مكبّلًا بالدّيون فبيعت شركته في هذا المزاد،وحين تسلّلت ضمن التجار الذين يشترون ما غلا ثمنه بأبخس الأثمان، وجدت أنّ المكان به ديكور يتجاوز المليون جنيه، بل فوجئت في مكتبه بحائط عبارة عن مكتبة حين تُحَرّكها تجد نفسك على سلّم العمارة إلى الشارع مباشرة،وبذلك تهرب وتتخلّص من اللّصوص والشرطة في آنٍ واحد !

هل تتخيل بكم بيعت كلّ هذه المساحة ؟!

لا تقل ٢٠ مليون جنيه، فقط بمليوني جنيه عقدًا مفتوحًا مدى الحياة، وسبعمائة جنيه كل شهر !

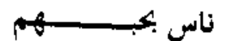
الأدهى من ذلك أنّ الذين رسى عليهم المزاد يعرضونها الآن للبيع مقابل مليونين ونصف المليون !

منطقة "الداون تاون" ليست شارعًا ولا مقهى ولا عمارة أثرية، لكنّها قبس من روح مصر، قطعة من مصر الجميلة الرائعة المنظمة العاشقة للأناقة والإبداع،والتي بحاجة للحفاظ عليها، ليس لأجل أن يحصل عليها "سميح ساويرس" عبر شركة الإسماعيلية ويشتري شققها ليبيعها بعد ذلك بأسعار مضاعفة عشرات المرات، ولكنّها بحاجة إلى حكومة يترأسها رجل مثل "تشرشل" تقدّر قيمة البلد الذي تنتمي إليه، تضع خُطّة شاملة لتطوير وسط القاهرة، تنـــزع لافتات الكباريهات وأماكن الشواذ،بل واليفط التي يضعها الأطباء على عياداتهم بعرض العمارة،وتطبع دليلًا يحتوي على عناوين كلّ العيادات في وسط القاهرة وأسماء الأطبّاء كما كلّ الدول المتحضّرة،وأن تجبر أصحاب المحلات على الأناقة، لو تفعل حكومتنا المتحضّرة ذلك لما استطاع محلّ أن يضع خلف واجهته الزجاجية صورة لامرأة عارية في وضح النّهار يشاهدها المارّة ويضعون رءوسهم في الأرض خجلًا، والأكثر خجلًا من هذا أنك كلما مررت من أمام مسرح "فؤاد المهندس" بجوار سينما "ميامي" وجدت عدة فتيات قبّح الله شكلهنّ،فلا هنّ من الحسان ولا هنّ من جاذبات إلى النّظر تشير إليك كلما مررت أن "تعالى"،و"تعالى" تعني دفعك إلى كباريه،ووقوفهنّ يشبه وقوف فتيات أمام بيوت البغاء التي كان مصرّحًا بها قبل ثورة يوليو.ومن المفروض

أنّك حين تعبر في الشوارع لا أحد يعرض عنيك شراء بضاعته سواء كانت هذه البضاعة نساء أم بدلًا رجالي أم أحذية، أنت حر في اختيار المكان الذي تريد الذّهاب إليه،فالكلّ يعرف ما يحدث والجميع يَغُضّ الطرف،ففي عهد لا تعرف فيه الحكومات المتوالية الفرق بين القبح والجمال.. بين العشوائية والنّظام، لا تنتظر أن يفعل الناس شيئًا آخر .

نحن الذين تقدّمنا الشعوب إلى الحضارة،جاءت أسرة "محمد علي" لتقودنا إلى الحضارة والمدينة الحديثة فأصرّينا بعد ذلك على أن نسير على خُطَى بعض الضّباط الذين جاءت بهم ثورة يوليو في تخريب كلّ القصور والمباني، وإذا كانت هذه هي حال المحرّرين،فليس عيبًا أن يدمّر الناس الآن كلّ الطرز المعمارية الرّائعة التي في وسط القاهرة .

ولعل من حسنات هذا النّظام تحويل وسط القاهرة لمنطقة سياحية نظيفة وهادئة بلا سيارات ولا تلوث،وأتمنّى لخطوة تطوير القاهرة الخديوية التمام ، ولا يأتي رجل أعمال ليصادر الجمال ويحوّله إلى قبح،أو أن تُباع وسط البلد في مزاد كما بيع الكثير من وطننا الضّائع في ظلّ حكوماتٍ تائهه ..



ناس بحبهم



في غياب رجاء النقاش

أجساد العصافير لا تتحمّل إلّا الطيران

يا أبي:

كيف تموت وتتركني وحيداً في شوارع القاهرة ؛ بين وجوه لا أعرفها وسماء بلا أمطار وحب بلا حياة ؟!

كيف طاوعك قلبك على الرّحيل،وكيف تحمّل "كبدك" كلّ هذا الألم،أنت الذي احتويت الجميع بقلبك الكبير وحنانك وطيبتك ، ثمّ كيف تترك حفيدك زياد دون أن يلمح وجهك للمرّة الأخيرة ، ولا حتّى ريم وياسمين ؟!

أي شيء في القاهرة يغري، والأنقياء الطيّبون مثلك يرحلون، فحتّى على البعد حين سافرت في رحلتك الأولى إلى "ألمانيا" للعلاج من ورم الكبد اللعين الذي جعل وجهك يشحب وسرق الدّهشة من وجهك، قلت لي عبر الهاتف مرّات ومرّات : "إنك بخير وستعود .. "كان من المفترض أن تصل هذه الرّحلات إلى ست ، لكنّك عدت بعد الرّحلة الأولى من "ألمانيا"، وقد حصلوا على عيّنة من نخاعك الشوكي لتوصيلها إلى الكبد عبر وريد الفخذ ، وقتها قال لي صديقي :"رجاء النقّاش عاد إلى مصر ".

عدت حين كرّمتك الأبناء في حفل رائع في نقابة الصّحفيين،وسافرت بعدها بأيّام حيث ظلّت العينة أربعين يومًا في المعامل الألمانية ، ولكن بعد فحوصات وأشعة ،قال طبيبك الألماني:" إنك تحتاج إلى عملية قسطرة ،وإنّ جسدك لن يتحمّل البنج الكامل" .

لم يأت الطبيب الألماني بجديد ، فأجساد العصافير لا تتحمّل شيئًا سوى الطيران والتحليق بعيدًا في أفقٍ أوسع فوق غابات الحرية .

" إنني بحاجة إلى هواء مصر " .

هكذا صرخت أنفاسك اللّاهثة على سرير المرض ، ففي يوم السّبت سافرت،ويوم الأحد ثبت عدم جدوى القسطرة وحاولت زوجتك الدّكتورة "هانيا" أن تعيدك إلى مصر بعد أن أكّد طبيبك فقدان الأمل ، وحاولت السّفر يوم "الثلاثاء" لكن شركات الطيران أصرّت على أن تعود إلى وطنك الأربعاء .

" لن أموت خارج مصر " .

هكذا قالت عيناك حين عرفت بتأخّر موعد السفر، وعدت على الطائرة يوم الأربعاء ، ووصلت إلى أرض مصر السّاعة ٧,٤٥ دقيقة مساء ، ومعك ممرّضة ألمانية ، وسيارة إسعاف حملتك حتّى المركز الطبي في طريق مصر - الإسماعيلية، وظللت تتنفس هواء مصر،حتّى لو كان عبر أجهزة حتّى فارقت

روحك جسدك الطّاهر وعادت إلى بارئها في الخامسة مساء الجمعة .

بين ألمانيا ومصر كنت تقضي أيّامك الأخيرة،وفي المسافة بينهما كانت تشتعل أحزاني ، فلم تكن بالنّسبة لي ناقدًا أو أديبًا وصحفيًا كبيرًا ملأ الدّنيا وشغل الناس،وكانت أبسط اكتشافاته "محمود درويش "و"الطيب الصالح" ، ولكنّك كنت " سندا" حين كانت القاهرة تُوصد أبوابها في وجهي ، وكثيرا ما كانت تفعل ، فأنت تعرف أنّه لولاك ومحمود السعدني – شفاه الله – لعدتُ إلى بلدنا في الصّعيد مرّة أخرى ، فقد تحمّلتما معي قسوة الحياة وألمها .

حين رأيت عينيك الجميلتين وقد تغيّرتا، قال لي لساني: "إنّ النهاية اقتربت .. نهرته وكذّبته ، فهذا الوجه الذي كان دائم البهجة ومحبًا للحياة و لم يختلف عليه أحد، سيبقى دومًا بيننا" .

– تذكّر حين فاجأتني ذات مساء منذ عدّة أعوام بزيارتك لي في مجلّة الأهرام العربي ..

– وتذكّر الترحاب والفرح الذين عليا وجوه الجميع، التفوا حولك لأكثر من ثلاث ساعات في نقاش وحول أفكارك وكتاباتك أسعدك كثيرًا وأنت المتواضع الدّائم ، الهارب من الأضواء مؤمنا ًبأنّ مكانة النّاقد الحقيقي بين كتبه وأوراقه،وليس بين الإعلام وأضوائه .

- تذكّر حين حاولت أن تخدعني بأن أراجع كتبك بعد جمعها على الكمبيوتر؛ لأنّ الذى يجمعها في دار النشر يترك بها العديد من الأخطاء المطبعية ، وكنت تهدف إلى مساعدتي ماديًا، ولما وافقت على المشروع رافضًا تقاضي أجرًا ، ولكنّه شرف لي أنه لا الوقت ولا الصحة ولا طول البال تساعد على المراجعة، وكنت أعرف حرصك على مراجعة كلّ حرف تكتبه قبل النّشر، ولّما وجدت إصراري ونشفان دماغي ، ولما عنّفتني وسببتني حتى أقتنع أنّك مثل أبي ويجب أن أقبل قلت لك ضاحكا :

- "ومتى كان الابن يأخذ أجرًا على مساعدته لأبيه" !

- وقتها قلت لي : "لن تكون بني آدم إذا لم تتخلّص من دماغ الصعايدة الذي فيك .. ثمّ أغلقت الهاتف في وجهي مُصرًّا على ألا أحدّثك مرة أخرى ، وفي اليوم الثّاني كنت أنت الذي تحدّثني وتعتذر عن غضب الأب على ابنه !

- تذكّر حين جئت لتشهد عقد قراني في دار الإفتاء،وبسبب نقاش حاد بينك وبين الدّكتور "علي جمعة" مفتي الجمهورية تأجّل عقد قراني لساعتين ، فقد أصرّ الدّكتور "علي جمعة" على ألّا يتم عقد القران حتّى يناقشك في المقالات الثلاث التي كتبتها عنه في الأهرام ، قال لك المفتي :

- "يا رجاء بك تكتب عني ثلاث مقالات في الأهرام مهاجمًا إيّاي بأنّي أفتيت بحرمة الآثار وتدمير التماثيل..رغم أنّي لم أفت بذلك ؟

قلت له :" إنّك أفتيت وتراجعت ؛ فمن أين لكلّ وسائل الإعلام، وقد راحت تنقل فتواك التي أشعلت الدّنيا ؟!

نقاشكما لساعتين وقد تحلّقنا كجمهور من المتفرّجين حولكما كشف مدى الثّقافة الإسلامية العريضة التي تتمتّع بها .. قلت لك ضاحكا - (الآن باكيًا) - :

-" لقد تحوّل الأمر من عقد قران إلى رسالة دكتوراه ."!!!

وقتها انتابني إحساس بالفخر، وحين قلت لوالد زوجتي :"سامي ابني وأقول لك إن ابنتك أصبحت ابنتي أيضًا،ونحن سنأخذها لولدنا ، وإذا أردتم أيّ شيء، فنحن على استعداد له ".

- تذكّر فرحتك حين رحت توقّع على وثيقة زواجي .. قلت لي :" لقد ذكّرتني بأيام زواجي، فقد جاء وشهد على عقد قراني أحمد بهاء الدّين، وكمال الدّين رفعت عضوا مجلس قيادة الثّورة ."

إذن لماذا تتركني أتذكر بمفردي وتذهب بمفردك ؟ ثمّ قل لي :" هل سأراك يوم القيامة وأُحشر معك ؛ لأنّي أحبّك أم أنّك تختار جنة الخلد — بمشيئة الله — دوني ؟"



عمّ علاء .. صباحك سكر

ليس "علاء مبارك" طبعًا، ليته كان عمّي ، حلم من أحلامي القديمة الذي لم يتحقق أن يكون عمّي ابن العمدة، ابن رئيس الجمهورية .. لكنت أصدرت قرارًا على الفور بالقبض على الوزراء الذين يشبهون سائقي الميكروباصات. والذين لا يتوقّفون إلا في الأماكن الخطأ، ولا يهمّهم شيء سوى إفساد الشوارع .لكنّه للأسف حلم لم يتحقق .

ولكن الذي تحقّق رجال أحبهم وأناديهم بـ " عمى " .. عمّ "محمود السعدني" .. عمّ "رجاء النقاش" .. عمّ "علاء الديب" .

وعلاء الديب، الذى حين تتحد مع كلماته في ليل وحدتك الطويل تدرك أنّك لست وحيدًا، ولكنّك تعيش مع عالم وشخصيات تعرفها جيدًا .

كلّما قرأت له رواية أو أعدت قراءة عمل قرأته في بواكير حياتي له، يصرّ ذلك التشبيه القديم داخلي لعلاء الدّيب على الطفو مرة أخرى ، فأنا لا أدري لماذا أربط دائمًا بين علاء الدّيب والرّبابة ؟ تأثير الصّوت الخارج من الربابة هو نفس التأثير الدّاخل إلى أعماقي، وأنا أقرأ علاء الديب :" المدن المزدحمة التي أعبرها في لحظة، لا أكاد أتبيّن أسماءها، تصيح بي

أن الانتماء لأمر أو مكان – بالنسبة لي – شيئًا مستحيلًا" .عيون البنفسج .

" شيخة بلا زحمة مريدين . أنا مريدها الوحيد، أزورها كثيرًا سمنًا بعض " الهريسة " وزيوتًا عطرية للمفاصل " .

لا تعرف أين ذهب "تامر فكار"، الشاعر بطل رواية" عيون البنفسج " فقد عاش في وطنه مصر، دون أن يعيش ، دون أن يجد تعريفًا لهذا الوطن، كلّ شيء ضائع، مهدّد، صارت "القاهرة" مدينة مرعبة من غابات الأسمنت، النّاس لاهثة دون أن يعرفوا إلى أين، وما سرّ هذا اللهاث ؟!

حتّى صديقه احتار في وطنه، لم يجد حلمه فسافر إلى الخليج وحمل وطنه في قلبه، بعد أن صار الوطن عاقًا لأبنائه " .

أما " زهر الليمون " تحفة تحف علاء الدّيب، فتتناول محنة الاغتراب والوحدة، والانتكاسة التي تعرّض لها جيل الستينيات،مرارة الهزيمة مازالت طازجة في الحنوق وبين الأوراق،الخيبة تنطّ من بين السّطور رغم أنّ علاء الديب كتبها في ١٩٧٨ .

يسافر بطل الرّواية من السّويس حيث يعمل ويسكن فوق سطح أحد البيوت إلى القاهرة باحثًا أيضًا عن خلاص عن وطن، باحثًا عن بواكير شبابه، يعزف فيها ألمه الدّائم باحثًا عن قاهرته " ... خلال السنوات الأربع لم يخفت حضور القاهرة

في حياته . غول يأكل الأيّام ليس شوقًا إليها يشتاق ؟ وليس حبًا في نهارها أو لينها أو ناسها الذين كانوا .

ولكن كأنّها جملة ناقصة لم تكتمل كلماتها .لا هي اتّسقت،ولا هي أفصحت عن معنى . وحش يسدّ الحلق " .

بطل " زهر الليمون " عبد الخالق حسني المسيرى لم يغادر القاهرة أبدًا " هي لم تغادره . هي الجلد والعظم والنخاع . هي الصليب والذكرى الأبدية . مدينة المدن . متوحشة وجميلة، في هوائها حرية وفي ضوئها قدرة واقتدار . من يسكنها عظيم،ومن يغادرها منفي مسكين . لا يقدر أن يغيّرها أحد " .

وفي عام ١٩٧٨ ، كان يكتب " يحبّ السويس "، فقط لو أبعدوه عن الميدان،ومبنى المحافظة والقصر:لو أبعدوا عنه البوتيكات الجديدة والميكروفونات، والمجمعات السكنية التي خربت قبل أن يسكنها الناس .

يحب السّويس لو أعادوا لها معناها، اتساق " الكبانون " مع البيوت القديمة، والكازينو الخشبي البعيد .

يحب السّويس لو عادت " الفراندة " الكبيرة التي تطلّ على الخليج . والشاعر "أمل دنقل" في الليل يروي شعره في ظلام الفراندة، وجهه مثل جبل عتاقة وقامته مثل حبال السفن . لو أعادوا الناس كما كانوا بدون القمصان الملونة، والأكمام المشمّرة، والشعر الملصوق والبنطلون المخزّق والمشية المخلعة .

يحب سمك الأدراج والسرنباق،والطحينة المحوّجة والسمسمية والرجال والبحر قبل أن يلوّثه التهجير والأكاذيب،والآمال المحبطة .

يحبّ الشوارع كلّها قبل أن تنهشها فئران القذارة واللّصوص الجدد .

يحبّ المد والجزر في القمر تحت جبل عتاقة في ليال ذهبت ولن تعود .

يحبّ الأربعين، والحلقة، وسيدي الغريب وكراسي المقهى المدهونة باللّون الأخضر .

العم علاء يعيش في فيلته الصّغيرة بالمعادى، هدّه المرض،نادر الخروج، وعلى الرّغم من ذلك يصف حال القاهرة البشع الذي وصلت إليه من أرصفة كلها حفر، وباعه يحيلونها إلى عسكر يحاصرونك ولا تعرف أين تمشي سوى إلى بحث مجهول في عيون النّاس عن لا شيء .

ما الذي تغيّر فينا .. ما الذي أسقط أنَفة المصري ورقيه وذوقه العالي؟، ما الذي حوّل الناس إلى صراع يومى دائم ؟

كل حكومات العالم توفّر لشعوبها بعضًا من النظام، بعضًا من الاحترام للنّفس، بعضًا من أكل العيش بدخل محترم .. بعضًا من الحب به ما عدا نحن !.

أما " وقفة قبل المنحدر "، والذي أعادت دار الشروق طباعته " وزهر الليمون " مرّة أخرى يصفه "علاء الدّيب" بقوله:" هذه أوراق حقيقية، دم طازج يترف من جرح جديد،كتابتها كانت بديلًا للانتحار " .

إنّها مذكرات أو أوراق مثقّف مصري قهر من كلّ شيء من قسوة الظّروف، ومن ثورة كان دائم الاعتقاد بأنّها نصر للإنسان، لكنّه اكتشف مرارة النّكسة، ولعلّ هذا الكتاب –١٠١ صفحة – يعد واحدًا من أروع كتب السّيرة الذاتية في الوطن العربي، كما يُعد "علاء الدّيب" واحدًا من أروع النّاس الذين أحبّوا هذا الوطن .

أقرأه وهو يقول:" هذه الأوراق أراها،محزنة، محيِّرة،وكئيبة . لكنّها صادقة، صدق الدّم النازف من جُرحٍ جديد .

هي أوراق حقيقية، كان من الضروري أن تُكتب ؛ لأنّها كانت البديل الوحيد للهروب مع أي شيطان أو للانتحار .

ماذا حدث لنا في تلك السّنوات (١٩٥٢ إلى ١٩٨٢) ؟ ماذا حدث للنّاس وللبلد ؟ ومن أين لإنسانٍ يشعر ويفكّر أن يحتمل في حياته كلّ هذه التقلّبات والتغيرات ؟ أليس من حقّ الإنسان أن يلتقط أنفاسه،ينعم بحياةٍ مستقرّة بعض الشيء،هادئة بعض الشّيء، مفهومة بعض الشّيء ؟!

يقول الناس : " كل يوم له شيطان " .

وشيطان كلّ تلك الأيّام كانت يعمل بجد واجتهاد، لكي لا تكتمل الأعمال ولا تتحقّق الأحلام، يعمل لكي يسود صراع دام بين الناس، وأن تصل إلى نهاية يومك، منهكًا مهدودًا،وأنت في الحقيقة لم تحقّق شيئًا . تغيّرت معاني الكلمات ووجوه النّاس، وخطوط الأفق في القرى والمدن . تغيّر الصّوت والصّدى، الظاهر والباطن حتّى النّخاع . والتغير سُنة الكون منذ كان، لكنّني أعتقد أنّ التغير لم يكن يحدث من قبل بهذه القسوة، والسرعة، والفظاعة .

عمّ علاء .. " صباحك سكر " .

مصطفى محمود .. الخروج من التابوت

كلّما تذكّرت الدّكتور "مصطفى محمود"، راح ناي "محمود عفت" يدندن في أذني بمقدمة ونهاية برنامجه " العلم والإيمان " والذي كنت حريصًا على اقتنائه ولم أقتــنه، إذ كلّما فكّرت في الذّهاب لشرائه شغلتني الدنيا بأشياء أخرى تافهة وعديمة القيمة، حتّى ذهبت لحضور عرس في مدينة فايد، وبينما كان "الدي جيه " يختار أغاني الحفلة وجدت على جهاز الكمبيوتر الخاصّ حلقات برنامج "العلم والإيمان"،فاستأذنته في نسخها،ومن حسن الحظ كان معي " فلاش ميمورى ".

أجلس الآن أمام علم وإيمان مصطفى محمود الجالس في بيته مريضًا داعيًا له بالشّفاء، ولكم كنت أسعد حين ألتقيه خارجًا من باب مبنى مؤسّسة "الأهرام"،وكنت ما زلت في بداية عملي في مؤسّسة الأهرام، ومرّت الأيام وتعدّدت اللّقاءات لرجلٍ لم يبخل بالنّصيحة يوما، ولا أدّعي أنّي صادقته ذات يوم، ولكنّي فقط أقول إنّه رجل لا يبخل بالنّصيحة، ومن خلال السّيدة "شادية" – أيضاً – توثّقت علاقتي به، وذهبت إليه في شقّته لأجري معه حوارًا صحفيًا يُنشر في الكتاب الخاص بها الذي أصدرته عنها من خلال مؤسّسة الأهرام،وكانت "شادية" قد سمعت أنّ مركز الدّكتور "مصطفى محمود" الطّبي بحاجة إلى

شقة .. وكانت تمتلك شقّة في المهندسين فتبرعت بها للمركز،وكانت تربطها صداقة بالدّكتور "مصطفى محمود"،كما أغلب أبناء مدرسة روزاليوسف وصباح الخير مثل: "إحسان عبد القدّوس،وصلاح جاهين، وبهجوري، وأحمد بهاء الدّين"، وأفاض الرّجل في الحديث لي عنها — كان هذا عام ٢٠٠٢ — وما يبهر في "مصطفى محمود" تحقّقه من معلومته من أكثر من مصدر،والتأكّد منها قبل الكتابة عنها،وكان الرجل يجلس أمامي بفرحة طفل حين كنت أقصّ عليه تفاصيل التفاصيل لقراءاتي لكتبه وأنا في قريتنا في صعيد مصر، وكيف أنّه كان مؤنس ليلي وحدتي في ليل القرى الذى يعرفه جيدًا كلّ من نشأ وتربّى في قرية، وكانت أغلفة كتبه البيضاء المرسوم عليها صورته حضنًا دافئًا في شتاء ليل الصّعيد الطويل، وقصصت عليه ما حكاه لي "محمّد مستجاب" — رحمه الله — ذات يوم من أنّه كان يرسل عشرات الرّسائل للدّكتور "مصطفى محمود" على أنّها من قارئة ، ولم يعلّق على هذا الأمر، وكانت ابتسامته بسيطة وفي غير تكلّف .

المهم أنّ إعادة الغربة على جزء شاركك طفولتك يعيدك إلى أشياء تشبه تعلّق الطفل بقطعة حلوى، لذا لا أدري لماذا انخرطت في البكاء وأنا أستمع إليه، مع أنّني كنت أبكي وأضحك وأرسم قصائده على جدران بيتنا في بدايات

مراهقتي؟!، وأكتب عشرات القصائد لحبيبتي على أنّها مني،وأنا أنقشها من دواوين "نزار قبّاني"، وحين أعدت قراءة الأعمال الكاملة لمحمود درويش اكتشفت أنّه يفوق "نزار قباني" – شعريًا – بمراحل، ولا أعرف كيف قال درويش لمفيد فوزي في حوارٍ نشره "مفيد" في كتابه :"هؤلاء حاورهم مفيد فوزي" " نزار قبّاني أحد آبائي الشعريين " .. لم أشعر بهذا الأمر مع "مصطفى محمود"، فكتبه مثل " القرآن محاولة لفهم عصري " "لغز الموت" ، "حوار مع صديقي الملحد"، "رحلتي من الشّك إلى اليقين"، "سوّاح في دنيا الله" ، "الخروج من التابوت" " العنكبوت "، " عصر القرود "، " رأيت الله "،"القرآن كائن حي "، " السرّ الأعظم". وجدته يبحر بي عبرها إلى شواطئ لم أدلف إليها من قبل، ولا حاول مجداف حياتي التوجّه إليها قبل مصطفى محمود .. وجدتني أعود مرّة أخرى إلى بواكير صباي .. إلى نقائي وطهري ،وأتخلّى عن كلّ ما يغضب الله، متذكّرًا أنّه في النهاية لن يبقى للإنسان إلا ما جنته يداه، مؤمنًا بإسلام تنويري يحضّ على القيم والاحترام ويعيش مع العصر والتطوّر ولا يجلس هناك بجوار الجمال في الصّحراء .. إسلام جاء بشريعة تَجُبُّ ما قبلها من بداوة وليس لتهذيب وتشذيب البداوة .. إسلام يحترم عقل الإنسان ويعلّمه غير مصرّ على "

النقل " حتّى لو أدّى ذلك النقل إلى قتل حياة الإنسان التي جاء الإسلام من أجل رفعتها وسموها .

"مصطفى محمود" بحاجة إلى فهمٍ من نوعٍ آخر وقراءة مختلفة تتخلّص فيها من كلّ أحكامك المسبقة .. وتجلس إليه قارئا ومستمعًا، ولا أطالبك بألاّ تناقشه أو تتقيّد بآرائه وأفكاره،الرّجل لم يطلب هذا، ولكنّه ظلّ مثل العلماء الأجلّاء يدلي بدلوه ويقول رأيه، ولا يعترض على آراء الآخرين .

أجد نفسي معه مثلما أجدها مع رجال عظام أمثال "عبد الحليم محمود" و"خالد محمّد خالد"، أجدني أميل إلى تلك القيم وألهث بحثًا عمّا تركته من أثر .. وما تركه "مصطفى محمود" من أثر في العلم والإيمان يحتاج إلى كتب لا إلى مقالات .

- إنّ الذى يلم أعقاب السجائر يتتبّع السيجارة خلف الرّجل ويمشي خلفه حتّى يلقيها، وهذا محصوله أكثر من الشّخص الذي ينتظر ويلم الأعقاب الملقاة على الأرض! فإذا كان هذا العمل يحتاج إلى مجهود، فالأولى أنّ الصحافة في حاجة إلى مجهود وابتكار وخلق !

- من شروط العمل الصّحفي هو القراءة والكتابة ، ولا يوجد محلّ للأميّين في الصّحافة ! فالذي لا يقرأ ولا يفكّر لا يصلح أن يكون صحفيًا .

- إن من تقاليد أخبار اليوم ألاّ يخرج منها أحد إلا بأسباب مهمّة جدًا ،إنّما يجوز أنّ المحرّر يصلح للعمل ملاحظ مطبعة ولا يصلح محررًا !!

- في الماضي كانوا يقولون:" إن ّفلانًا بليغ ؛ لأنّه يكتب مقالة لا يفهمها في البلد إلا ثلاثة(٣) أشخاص .. وكان يكتبها على ستة عشر(١٦) عمودًا .. الآن البلاغة هي السّهولة .. فكلّما كانت الألفاظ سهلة ومفهومة كلّما كانت بلاغة .

- هناك قواعد أساسية في الصّحافة منها أنّه لا تهاجم ما يحبّه الناس — لا تهاجم مواجهة ما يحبّه الناس . هناك بعض

الناس يمولون : " خالف تُعرف " هي نظرية صحفية — يجب ألا تخالف الناس مواجهة إنّما خالفهم من الجانب ..

– إنّ الاهرام مثلاً معذورة؛ لأنّها ترمز إلى حجارة وطوب — هي جريدة عريقة فيها جرانيت !! فعندما لا يجد القارئ فيها أخبارًا لا يغضب — إنّما إذا اشترى "الأخبار" ولم يجد فيها أخبارًا ينومها أكثر !.

– " إذا كانت الرّقابة تشطب خبر اختفاء الشّاي من السّوق،فمن الممكن أن تعالج هذا دون أن تحسّ الرقابة " .. مثلا:حكاية الشاي لو عمل فيها تحقيق صحفي كامل .. ولو سأل المحرّر المصدّرين والمستوردين والوزارة وعمل بحثًا، فلن تشطب الرّقابة هذا الموضوع .. المهم أن تدرس الموضوع دراسة موضوعية .

– نحن نعتبر "إسرائيل" خطرًا طالما هي موجودة .. وإنّنا دائما نذكر البلد ، والرأي العامّ أنّ هناك إسرائيل وخطر إسرائيل وأنّها غدّارة ولها كل نيّات الشر، ولابدّ من التسلّح وشراء أسلحة من وقت لآخر ، وننشر أخبار نياها العدوانية لإثارة الهمم ومعرفه الخطر !

– أكبر إهانة لجريدة أن تنشر خبرًا في الصّفحة الأولى ويظهر أنّ هذا الخبر لا أساس له ... أفهم أن يغلط المحرّر في عشر رصاصات ويقول سبعًا ، إنّما يقتل ويدفن شخصًا من غير ما

يقتل أو يدفن .. فهذه عملية لا يمكن مطلقًا أن أي جريدة تقبلها على كرامتها !

– إنّ القارئ يملّ إذا كتبت له كلّ يوم عن الشّيخ "الباقوري" و"سيد مرعي" ! إنه يريد أسماء جديدة ووجوهًا متجددة .. القارئ ملول بطبعه، فيجب أن تكون الجريدة متغيّرة متجدّدة .. إنّ "سام جولدوين" أحد ملوك السينما قال:" إنّ الجمهور لا يطيق أن يرى وجه "مارلين مونرو" أكثر من أربع(٤) مرّات في السنة ! ولهذا لا يجوز أن تظهر في أكثر من أربعة(٤) أفلام ! فإذا كان النّاس تزهق من وجه "مارلين مونرو" بعد أربع(٤) مرّات .. فماذا يكون شعور الناس عندما يرون صورة الشّيخ "الباقوري" ،أو "رمزي ستينو" مائة مرة في العام !

– لابدّ للصحفي أن يقرأ ويطّلع ! يعني محرّرو قسم الترجمة يبدو أنّهم لا يطّلعوا على شيء ! كتب أحدهم أنّ لشبونة في إسبانيا !! كتب آخر عن "فرناندل" الممثّل السينمائى "إنه النجمة السينمائية المحبوبة ..." هذا الجهل ذكرّني بالشّيخ "علي يوسف" لما كتب في الافتتاحية " وشرف الله إفريقيا لما جعل فيها مكة المكرمة " !!

– كلّ شخص لا يعمل بالصحافة أربعٍ وعشرين(٢٤) ساعة ممكن أن يختار عملًا آخر !

- الصّحافة مجهود وابتكار وخلق .. الصّحفي يمشى على شوك لا على بساط !! إنّ الخبر المهم دائمًا تُغلق عليه الأبواب !والخبر التافه أبوابه دائمًا مفتوحة !

- الفرق بين الصّحفي الفاشل، والصّحفي النّاجح هو الفرق بين القائد الفاشل، والقائد النّاجح .

- النّاس عادة لا يولدون بأنوف صحفية ، إنما يمكن تربية حاسّة الشّم الصحفي مع الوقت والمران والتجربة والمحاولات الصّحفية !! وطبعا فيه ناس يُولدون وقد فقدوا حاسّة الشم،وهؤلاء لا يمكن أن يشمّوا ولا ينفع معهم أي تجربة،وهؤلاء لا يستطيعون أن يكونوا صحفيين !!

- أحيانا صحفي الحوادث يذهب ويكون متّهمًا بأخذ سيجارة من الضابط .. إنّ الصحفي الممتاز هو الذي يعطى سيجارة للضابط !!

- مهارة الصّحفي ألّا يبدو على وجهه أنّه يسترق السّمع،لأنّه من أسوأ الأشياء في الآداب العامّة أن تسترق السمع !

- يجب على الصّحفي أن يقول حقيقة المصدر ، وهذه الحقيقة تدفع الغير للكلام .. إنّما تقول " فيه أخبار ؟ "يقول لك " لا " أنت استقلت ؟ لا .. أنت ستقابل الرّئيس وستعرض عليه مشروع السّد العالي ؟ لا .

لا تعطي أسئلة موجّهة للمصدر ، لأنّ هذا يضايقه ويُحدث له متاعب !

- إنّ كرامة المهنة تجعل الصّحفي يجب أن يكون في مستوى مصدر الأخبار ، فإذا نزل الصّحفي إلى مكانة أقل تحوّل إلى شماشرجي .. إلى خادم في الوزارة بعد أن كان سيّد هذه الوزارة .!!

- إنّ الصّحفي الغشيم قادر على أن يقتل جريمة فيها مائة قتيل وثلاثمائة(٣٠٠) جريح في أخبار الأقاليم ! ولكنّ الصّحفي العبقري يستطيع أن يجعل من حكاية فتاة شكّها دبوس في السّينما قصّة للصفحة الأولى !

- إنّ الصّحافة الإخبارية البوليسية تختلف عن الصّحافة السياسية في نوع واحد - الصّحافة السّياسية مفروض أنّها تسبق الجرائد الأخرى بأخبار الوزراء - أمّا الصحافة البوليسية فتسبق النّيابة والبوليس بالأخبار !

- إنّ الصّحفي الممتاز هو الذى يرحّب بأي محادثة تليفونية ! ويجب أن تعمل هذا لأنّك قد تصل إلى حدثٍ صحفيٍ عظيم يصنع منك صحفيًا عظيمًا .

إنّ تاريخ الصحافة فيه قصص عجيبة عن كيف استطاع تليفون من مجهول أن يحوّل محرّرًا صغيرًا ناشئًا إلى نجمٍ صحفيٍ لامع !

إنّ القصص الصحفية هي تليفونات تدقّ ! والفاشل هو الذي يترك السّماعة، و النّاجح هو الذي يرفعها !

-إنّنا نريد عملية التّشجيع للقارئ في أن يتّصل بجريدته،ويعامل معاملة تشجّعه على الكلام .كلّ قارئ يتّصل بالجريدة في مصر نجد أنّ المحرّر يحاول أن يأخذ منه ميعادًا إذا كان فتاة "!

من محاضر اجتماع الجمعة الذى كان يعقده "مصطفى أمين" في "الأخبار" كل أسبوع في الخمسينيات والستينيات،وقد وجدها الكاتب الصّحفي "علاء عبد الهادي" مُلقاه في سلة مهملات بجوار مبنى أخبار اليوم فأخرجها للنّور في " كنوز صحفية" يجب تدريسها في كلّية "الإعلام" وأقسام الإعلام والصّحافة بالجامعات المصرية إذا أردنا صحافة حقيقية تكون ضمير مجتمع وبوصّلة لباحثين عن الحقيقة.

اقتلوا جمال سليمان يرحمكم الله

نعم اقتلوا "جمال سليمان" لتستريحوا وبعده أكمنوا بتيّم الحسن واختموا بحاتم علي يرحمكم الله، فقد أساؤوا للدّراما المصرية التي كانت قبلهم تنافس دراما الدّول الاسكندنافية،وتقدّم فنًا غير متشابه ونادر التكرار،قصصها محبوكة وإخراجها متميّز ونجومها لا يأخذون الملايين لشهرتهم ولكن لجهدهم وعرقهم في تقديم أعمال ناجحة لدرجة أنّ "ستيفن سبيلبرج" قرّر أن يتخلّى عن الإخراج السّينمائي ويتجه إلى الدّراما المصرية ليقدّم نفسه إليها تلميذًا يتعلّم من نجومها فنّ التمثيل والأداء والإخراج !

لا أدّعي أنّي ناقد فني يفهم أكثر من "رؤوف توفيق" و"سمير فريد" و"طارق الشنّاوي" مثلًا ، ولكن هناك فرق بين النقد وقلّة الأدب،إذ ما معنى أن تشنّ صحف عديدة ومتتالية هجومًا يتعدّى الشّتيمة على فنان مثقف وواعٍ ويجيد عمله مثل "جمال سليمان" ؟!

لقد كتب أحدهم يقول : إنّ اسم "جمال سليمان" يعني (Silly Man) أي الرّجل السّخيف،ونسي أنّ نبيّ الله اسمه "سليمان"_ عليه السّلام_ ، ولا أعرف لماذا نصرّ على التعامل بشوفينية ونرفض وجود ممثّل قدير، وله نجوميته العربية الواضحة

مثل "جمال سليمان"،بينما قبل السوريون ب"جمال عبد الناصر" رئيسًا لهم، بل وتنازل له "شكري القوتلي" عن الحكم ،رغم أنّ "القوتلي" جاء عبر انتخاب ديمقراطي ودستوري حرّ ، ولكن يبدو أنّ المسائل عندنا تُناقش بشكلٍ فرديّ،ومن قِبل فنانين يكتبون بأسماء كـُـتـّـاب ! ولو أنّنا ناقشنا بموضوعية ما أضافه "جمال سليمان" إلى الدّراما المصرية بسبب "حدائق الشيطان،دعك من أولاد الليل" ، وما قدّمه "تيّم حسن" و"حاتم علي" في الملك فاروق ، لوجدنا أنّ العملين أحدثا نقلة في تاريخ الدّراما المصرية،وبالتأكيد من ينتوى تقديم عمل تاريخي أو سيرة ذاتية سوف يتردّد ألف مرة بعد الملك فاروق .

الغريب أنّ التشنيع وصل إلى حياة الشّخص الخاصّة وليست العامة،فراحت إحدى الصّحف تنشر صورة لجمال سليمان ومعه راقصة ،وفي التعليق:" إنّ جمال أصبح يلعب في الحياة دور مندور أبو الذّهب في حدائق الشيطان"، أي أنّه تحوّل لرجلٍ فاسدو" نسوَنجي "،وبالتأكيد لا يعرف هؤلاء أنّ "جمال سليمان" جسد أدوارا مثل صقر قريش "عبد الرحمن الدّاخل"،و"صلاح الدين الأيوبي" ،وأنّه واحدٌ من أكثر الفنانين ثقافة وفكرًا ووعيًا في تناول قضايا مجتمعه السّوري، وهذه الصورة أُخذت له في حفلٍ أقامه على شرف الفنّانين المصريين في مهرجان السينما،ويبدو أنّ الرجل قرّر أن يريح الجميع

منه،فمتابعاتي اليومية للصّحف المصرية لا تحمل حوارا لجمال سليمان،ويبدو أنّ ما كُتب عنه جعله يحسّ بأنه عبء على مصر والمصريين فأخذ جانبًا،وقد يكون تفسيري هذا غير صحيح ، ولكنّي أزداد حسرة كلّما شاهدت عملا لهذا الفنّان الكبير لأنّه ليس مصرياً ،وكأنّي أتذكّر قول "جمال عبد الناصر" عندما كان يستمع إلى "فيروز" ذات يوم وقال حسب رواية هيكل:"خسارة أنّ هذا الصوت مايكونش مصريًا،فأعمال سليمان يجمعها خيط إنساني واضح ومُشبّع بالدّفء والمشاعر الإنسانية التي تبحث عن هوية الإنسان الداخلية والذي دمّرته الحروب والمآسي والبحث عن الثراء حتّى ولو على حساب الآخرين..فهذا رجل يمثّل لأجل الإنسان داخلي وداخلك،لكنّنا نسعى في مصر إلى قتل الرّجل نفسه ، بل هي حملة مدّبرة حين نستكثر عليه شراء شقّة في المعادى بمليون جنيه ، ولا نستكثر على زملائه من الفنّانين المصريين حصول الواحد منهم على أربعة ملايين جنيه في العمل الواحد ، وهل كثير على رجل عمره ثمانية وأربيعين(٤٨)عامًا وله ثلاثون عامًا في حقل التمثيل أن يشترى شقّة مثل هذه !

لقد جمعت أغلب ماكُتب عن التنافس بين الدرامتين—المصرية والسّورية — ووجدت الكثير مما كتب يصبّ في قالبٍ واحد وهو أنّ السّوريين أساؤوا لمصر،رغم أنّ الواضح عكس ذلك

تمامًا، فقد أضاف هؤلاء فنًا يختلف عمّا كنا نشاهده،وجعل الجمهور يتوقّف كثيرًا أمام ما كان يشاهده .. ويفوق وكأنه في غيبوبة مثل غيبوبة توفيق الحكيم قبل " عودة الوعي " . فالسوريون أعادوا " الوعي المفقود " لدى الجمهور المصري الذي كان مضحوكاً عليه ؛ فقد استطاع "حاتم علي" أن يقدّم لوحات في الدراما المصرية ، وينقلنا من الاستديوهات البائسة إلى صورة مبهرة وكأنّك تشاهد عملا أمريكيا،ليثبت لنا أنّنا نستطيع تقديم أعمال تُضاهي في روعتها وبهجتها الأعمال الأمريكية .. ثمّ لا أعرف لماذا يهاجَم رجل يُضيف إلينا، فالملك فاروق بالتأكيد عمل مصري وليس سوريا،لكن كيف لنا ونحن الطّواويس أن نقبل ممثلين ومخرجين من دولة تنتمي إلى عصر الستينيات ليأتوا إلينا و " يحتلوا " الدراما الخاصّة بنا ونحن تليفزيون الريادة وفنّ الرّيادة ؟

المخطّط أكبر من الدراما ومن "جمال سليمان" و"حاتم علي" و"تيم الحسن" بكثير ، فهو مخطّط يحمل أهدافاً سياسية واضحة لمن يرى من الجهة الأخرى،من خلال وجوه ترتدي أقنعة مزيّفة ومكشوفة لتعلن لهؤلاء أنّهم غير مرغوب فيهم ، بل وتسعى إلى هدم هؤلاء النّجوم،فقبل أن يتمّ تصوير العمل وبمجرد الإعلان عنه تبدأ حملات منظّمة من قبل أقلام بعينها وممثلين بعينهم للهجوم على العمل وتوصيل صورة مسبقة سيّئة عنه ، ورغم

كلّ هذه الحملات فإنّ ذائقة الجمهور المصري تذهب إلى هذه الأعمال ، فلا أحد يستطيع أن يمنع حبّ الناس عن شخص أو عمل أو يمنع نجاحه مهما كانت الآراء المسمومة فيه،لذا يجب أن نتعقّل كثيراً ونشاهد أولًا ونتابع هؤلاء القادمين إلينا بفن جديد ومختلف وبأداء مختلف.

فالمبدع الحقيقي هو الذى يستطيع أن يهضم أغلب الفنون ليقدّم الأجود والأفضل ،لا أن يتعالى من البداية ويسفّه فكر الآخر وفنه بحجة أنّه ليس له وجود . بل ويصل الأمر إلى أن يحلف أحد فنّانينا " يمين طلاق " أنّه لايعرف ممثلة اسمها "سوزان نجم الدين" ، رغم أنّ نفس الفنان شارك في أعمال سورية وعمل أردني – " اشمعنى " – ثمّ كيف يصل الأمر لحلفان طلاقات ، وأي فن هذا الذى وصلنا إليه ؟ ثمّ إنّ "سوزان نجم الدين" واحدة من نجمات الصّف الأول في الوطن العربي كله، وقد حصدت جوائز عن بطولات متفرّدة يذكرها لها الجميع، ثمّ الذنب ليس ذنبها في أنّنا لا نتابع فنّ الآخرين،بل إنّ هذا التصريح يثبت إلى أيّ حد نحن ننكفئ على أنفسنا ولا ننظر للآخرين من باب أنّنا الأعلم .. والله أعلم بما وصلنا إليه من حال لا تسرّ عدوًا ولا حبيبًا ، وإذا كنت تريد أن تعرف رأي الجماهير العربية في تصريحاتنا البلهاء فادخل على أى موقع في الإنترنت، واكتب هجوم الفنّانين والصّحفيين المصريين على

"جمال سليمان" والفنّ السّوري، لتدرك كَمّ الفجيعة التي تحتاج إلى معدّدة تلطم حتّى الصباح على حال الفنّ والفنانين في مصر الذي لم يعد لديهم سوى حرائق الكلام هنا وهناك، والذي يثبت عن جدارةٍ حجم الثّقافة التي وصل إليها فنانونا إنّها "ثقافة الطّلاق في فن الأبواق ".!!!!!

حماتي وعبد النّاصر والقومية العربية

قلت لها :" لا أعرف كيف تؤمنين برجل قتل صديق عمره،ثمّ ألم تعرفي بما فعله مع الرّئيس "محمّد نجيب" من تعذيب واعتقال وبهدلة ؟"

قالت لي :" يبدو أني انخدعت فيك، ولابد أنّي أفسخ ها الخطوبة !"

التي قلت لها هي "حماتي" التي لديها عشق لجمال عبد الناصر لا حدود له ، ولعلّ أغلب السوريات والسوريين كذلك، ما إن تنفتح سيرة "جمال عبد النّاصر" إلّا وتجد قصائد مديح في عبد الناصر وسّيارته التي حملها السوريون على أيديهم حبًا فيه ، وحكايات عن الوحدة والنّكسة لا تنتهي ، وأنا لديّ حالة حب لجمال عبد النّاصر، لكنّي أبدا لن أفعل مثل "حماتي"،وما فعلته أنّها تركت وطنها وعملها كملحقة دبلوماسية في "بكين" ومديرة لمكتب وزير الخارجية السوري،وتزوّجت من مصري لأنّه يحبّ "جمال عبد الناصر" !

"حماتي" نوع غريب من البشر، تقرر الزّواج من رجل لأجل حبّه لناصر وللقومية العربية، ثمّ تترك العالم خلفها لتستقر في القاهرة ولتربّي ابنتها الوحيدة ، وتظلّ حتّى الآن من عمرها مؤمنة بالوحدة العربية والقومية وعبد الناصر ومصر التي

كانت،بل وتحلم أن تعود هذه الأمجاد ، لذا فهي تميل كثيرًا إلى "حسن نصر الله" و"حمدي قنديل" و"مصطفى بكري"،وتعتبرهم الامتداد لخطّ القومي العربي،ولا ألومها وقد لعبت دورًا سياسيًا كبيرًا وقت حكايات المنشورات السرّية أيام حزب البعث وميشيل عفلق، وهذا التّاريخ النائم هناك، والذى قدمت فيه مئات الشهادات، وأغلبها باطلة !

أحب التّاريخ وأميل إليه كثيرًا ، لكنّي لا أهوى التغنّي به لأنّي أعرف أنّ الحاضر حاضر ، والتاريخ هناك نتعلّم ونستفيد من تجاربه ، لكن لا عبد الناصر سوف يعود مرّة أخرى ، ولا الاشتراكية أو القومية ستطبق الآن ، ولا بلدنا سوف يذهب إلى الترعة لتغسل شعرها !

وعلى غرار شفافية الاشتراكية والناصرية تصرّ "حماتى" على غسل أوراق الملوخية بالماء والصّابون ، وقبلها كنت أعتقد أنّ هذه الأمور حكايات نضحك عليها في الأفلام ،حتّى جاء اليوم الذى شاهدت فيه الصّابون والملوخية والماء في حوض الغسيل،بل والخسّ والخيار .. وكلّ شيء فيه أوراق،ولكم أتمنّى أن تُغسل أوراق الصّحف التى تخدعنا كلّ صباح بالماء والصّابون أيضا !

"حماتي" لديها السّكر والضغط والقلب ومع ذلك تشاهد قناة "الجزيرة" صباحًا ومساءً ، تتابع ضحايا المجازر الأمريكية في

بغداد وتبكي، تتابع شهداء فلسطين كلّ يوم وتبكي ، ثمّ تنهض لتتناول حبوب الضّغط والسكر ، وتعود إلى أخبار العرب عبر قناة "الجزيرة" .

تتعامل حماتي مع ابنتي التي لم يتجاوز عمرها العامين بالطريقة النّاصرية ، فهي ترى أنّ التربية الحقيقية بالقمع وعدم التدليل لأنّ التدليل مفسدة للبنت، كما أنّها ستأخذ ابنتي – أنا الرّجل الصّعيدي – لتزوّجها في "سوريا" عنوة ، هكذا "حماتي" المتيّمة بالتجربة الناصرية ، والتي سعدتْ كثيرا حين تمّ اختياري في مؤسّسة "هيكل" للسّفر إلى لندن ، ليس حبًا في زوج ابنتها وإنّما لأنّي اخترت من قِبل مؤسسة رجل ينتمي إلى عصر جمال عبد النّاصر !

بل وتصرّ أن تعزم صديقي "خالد رشدي" على الغداء – على حسابي طبعا – لأنّه سبّ رجلًا سبّ "جمال عبد الناصر" أمامه !

لدى " حماتي " كنز ثمين ، فهي لا تملك من حطام الدنيا شيئا ماعدا ثلاثمائة جنيه كمعاش شهري،ذلك أنّها سوّت معاشًا مبكرًا ، تشتري بهذا المبلغ أدويتها ; أمّا كنزها فهو عبارة عن خطابين أرسلهما إليها الرّئيس "جمال عبد النّاصر" حين كانت في المرحلة الإعدادية !

ألم أقل لكم: إنّه عشق من نوع خاصّ للسّيد الساكن في "منشية البكري" ، وأنا أعذرها كثيرًا على هذا الأمر ، فللناصر كاريزما باقية حتّى الآن، لدرجة أنّني حين التقيت "عبد الحكيم عبد النّاصر"في بيته منذ ثلاثة أعوام قلت له :" البقية في حياتك" !

مُناكَفَاتي وحماتي كثيرة ولا تنتهي ، وهذ المقال ليس من باب المناكفات ، ولكنّي أردت أن أحتفل بعيد ميلادها السّبعين على طريقتي ، وأنا أقول لها:" كلّ عام وأنت والزّمن الجميل بخير"، وأن أشكرها على الزّهرة التي منحتني إيّاها والتي يضوع عطرها في جنبات حياتي أينما ولّيت ، ذلك أنّنا دائمًا ننسى من نحب؛ لأنّه أمام أعيننا دائمًا ، وكأنّ وجوده معنا ينسينا مساحة الحبّ التي منحها لحياتنا .!

أحزان الأبنودى

الخال مريض، لم تعد الرئة ولا العمود الفقري يتحمّلان،ولم ينتظر الزّمن فقد سارع بترك ندوبه على وجهه المنهك وجسده القائم كصخرة في بطن جبل لا تزعزعها الزلازل ولا البراكين،يفكّرني دائمًا بأهلي في صعيد مصر، قامته الفارعة ووجهه الذي يحمل لون القلل القناوي التي صهرتها نيران المازوت، لكن أحزانه لم تعد عادية بعد أن داهمه المرض، وهو ليس كنــــزلات البرد والأمراض العادية التي يصاب بها بسبب الشّيخوخة، ولكنّي أثق أنّ إصرار "الأبنودي" وحبّه لأيامه الحلوة سيجعلانه مقاومًا دائمًا لهذا المرض المزمن، ورغم أنّي أعرفه منذ طفولتي وأحسّ أنه رسولنا إلى أهل العاصمة، فإنّ أول لقاء جمعني به يعود إلى الفنانة الرّائعة التي اعتزلت الأضواء ولم تعتزل الفنّ أو الحياة، فقد كنت أُعِد كتابًا عن الفنانة "شادية" ونُشر على مائة وسبعة وستين(١٦٧) صفحة مع مجلّة "نصف الدنيا" عام ألفين وثلاثة(٢٠٠٣)، وهاتفت "الأبنودي" للقاء في بيته في المهندسين، وبعد ترحاب صعيدي، فُوجئت به آتيًا برزمة ورق أبيض مسطّر وقلم لأكتب الحوار، ولما شرعت الكاسيت في وجهه، قال:"سجّل براحتك، لكنّي لن أرتاح إلا حين تكتب ورائي، وبالفعل كتبت، وكان واحدًا من أروع

الحوارات، بل إنّ "الأبنودي" و"محمود مرسي" و"محمود ياسين" كانوا أروع من تحدّث عن هذه الفنّانة العظيمة، وبعد ذلك كنت أُفاجأ بالأبنودى يسأل ويطمئنّ على أحوالي، فداخله إنسانٌ من نوعٍ نادر، وقد وسّطته ذات مرة لأزمة عنيفة حدثت معي في مؤسّسة الأهرام، وكادت تُودي بمستقبلي حين سجّل لي أحد الزّملاء كلامًا عن رئيس التحرير، وتوسّط "الأبنودي"، لكن كان ما قلته أعنف من وساطة الخال، فلم يفلح الأمر، لكنّني لا أنسى له هذه المحاولة من أجل شاب لا يربطه بالأبنودي سوى أنّه فنائي مثله ولقاء يتيم .

لم أكن أسأل كثيرًا عن الخال، فالرّجل مبدع حقيقي وشاعر عظيم، وأخجل كثيرًا من أن يزعجه هاتفي، أحبه على البعد، لكنّني فوجئت به حين حصلت على جائزة نقابة الصّحفيين في المرة الثانية بهاتفه المهنّئ والسّعيد، يخبرني أنّه طلبني على رقمي القديم، وأنّه حصل على الرّقم الجديد مباركًا لي،وأقول الثانية وذلك لأنّ الأولى كانت لها علاقة به فقد حصلت عليها من كتاب "شادية"،وكان حواره منشورًا في الكتاب،وكان متابعًا، أمّا الثانية فقد كانت مكالمته تخبرني عن أنّ الخال الكبير متابع حال الأبناء في العاصمة، ويعرف أنّهم لم يتوهوا في زحام الحياة بعد .

كنت مسافرًا خارج القاهرة وعدت لأسأل عن الخال الذى يخبرنى بصوته الصّعيدي ونبراته القوية – رغم وضوح المرض فيه – أنّه مسافر إلى "فرنسا" لتكملة العلاج، ورغم كلّ إنسانية هذا الرائع فإنّي مدين له باعتذار لأنّي صدّقت ما يردّده مثقفو المقاهي عنه والذين أفسدوا الثّقافة المصرية،فهم يروون أنّ "عبد الرحمن الأبنودي" أفّاق كبير ومنافق ويلعب على كلّ الحبال،فغنّى لعبد الناصر وغنّى ل"علي مبارك"، وأجريت ذات يوم لقاء مع شاعر كبير أحبّ شعره كثيرا فقال لى :" منذ ظهر الأبنودي في مدرسة المساعي المشكورة؛والتي أعلن الرئيس مبارك ترشيح نفسه للرئاسة منها سقط شِعره في مزبلة التاريخ ."

ياألله .. كم قساة نحن على بعضنا البعض،فرغم أنّي ضدّ هذه السلطة الغاشمة وضدّ ما حدث للشّعب المصري طوال العهد الحالي من ظلم وتعسّف وفقر وتجويع للنّاس، فإنّي أحترم رأي الأبنودي وموقفه، هو حر يكون مع النّظام أو ضده، رغم أنّ مقالاته في الوفد تكشف عن موقفه الواضح في عشق هذا البلد كما لم يعشقه أحد .. وقد كانت هذه المعركة أطول معركة في تاريخ الأبنودي، منذ غنّى للنظام وموقفه من الحرب العراقية الكويتية، ويحقّ لنا أن نهاجمه .. أن نلومه .. أن نقسو عليه، لكن أن نلقي بشعره في مزبلة التاريخ، فهذا ما لن يقبله

التاريخ منّا، فالأبنودي سوف يبقى علامة فارقة في شعر العامّية المصرية تنتمي إلى الشّجرة الأمّ التي أنجبت الكبير "بيرم التونسي" و"فؤاد حداد" و"صلاح جاهين" و"أحمد فؤاد نجم" و"سيد حجاب" و"مجدي نجيب" و"سمير عبد الباقي" .

شاعر كبير آخر ومن جيل الأبنودي، قال لي ودخان حشيشه يملأ وجهي :" لا تقارن بيني وبين الأبنودي، فالأبنودي تلاميذه يذهبون إلى "الكويت" وتلاميذي يذهبون إلى السّجن،والأستاذ نفسه يذهب إلى "الكويت" كثيرًا هذه الأيام .

لم أر "الأبنودي" بعد لقاء "شادية" إلّا في الأحزان، في سرادقات العزاء فقط، وذات يوم جاء صديقي التونسي المقيم في جنيف "ماهر كمّون" إلى القاهرة وقال لي:" إنّه على موعد محبّة مع الأبنودي. ودعاني للذّهاب معه، وكان الخال مريضًا أيضًا ، وغرقنا في حديث طويل عن الأحداث السّياسية، وكان الأبنودي يحمل دائمًا نظرة رجل خبّر الحياة فينبئك بالمستقبل ويراقب الأحداث. ومنذ عدّة أعوام قرأت له مقالًا لم أستطع أن أنسى جملة قال فيها للرّئيس "مبارك" عن الذين يطبّلون حوله : "إنّ كلّ ما يكتبه هؤلاء كتابة بقلم رصاص. وسيُمحى بأستيكة ذت يوم، ولو أنّ سادة المصير يقرؤون بعمق كتابات الخال الذي أمسك بموضع الألم لما وصلنا لما نحن فيه ".

فعلى الخال أن يذهب لتلقّي علاجه في "باريس" إذا ويعود ليجد أنّ كلّ شيء على حاله، العشّاق مازالوا يعشقون على عيون القلب وأسمراني اللّون وأحضان الحبايب.

و"فلسطين" مازالت تستمع إلى "المسيح" وإلى موت "ناجي العلي" على الإسفلت، ولا يمر ٢٣ يوليو إلّا وكلماتك تجري على لسان العندليب تاريخًا وبيانًا لما حدث ذات يوم .

مازالت دواوين الأبنودي "الأرض والعيال" إلى الزّحمة،وجوابات حراجي القط،والفصول،وصمت الجرس والمشروع، والممنوع" تمثّل متعة خاصّة لعامّة الناس ،وكذلك رائعته "آمنة"

التي تذكّرنا بجدّاتنا في صعيد مصر، ليست أشعاره فقط، بل وصوته، فحين قامت "دار أطلس" بطبع الدوّاوين المسموعة للأبنودي أحدثت تحولًا كبيرًا ولاقت إقبالًا على الشّعر أكثر من الأول، ورغم نجاح التجربة، فإنّ كلّ من حاول تقليدها فشل كما شعر الأبنودي لا يُقَلَّد،وصوته الخارج مع نبت الأرض، وواحد أنا من الناس الذي يجد أهله في أشعار وصوت الأبنودي، فكلّما أخذني الحنين إلى أهلي في صعيد مصر أستمع إلى "جوابات حراجي القط" وإلى "آمنه" وإلى "الأحزان العادية"، وقد دُهشت حين وجدت أنّ الألبومات التي أحتفظ بها في سيّارتي ودائم الاستماع إليها تضمّ "خوليو جليسس"

و"ديمس روسس" و"عبد الرحمن الأبنودي"، ولا أعرف ما الذى يجمع الثلاثة معًا خلاف ذلك المعنى الإنساني البعيد في أعمالهم.

أفتوكالايزو

"الكاتب الجيد أو الكتاب الجيّد ليس هو الذى يضيف إلى معلوماتك أشياءً جديدة لا تعرفها، وإنّما هو الذي يؤكّد لك ما كنت تعرفه من قبل "

هذه الجملة التي كتبها "جلال أمين" في سيرته الذاتية تقرأ كتاب " أفتوكالايزو " لأسامة غريب، فالكتاب من بدايته عن الشيخ "بترهير" الذي التقاه "أسامة" في مونتريال،وهو شيخ خفيف الدّم مغرم بالطعام، أعتقد أنّ أسامة سوف يفيده من "Verb To feed " أى يطعمّه ويزغطّه و " أتوقع أن تفيدني، معناها أتوقّع أن تطعمني " حيث أخبروه أنّ "أسامة كريم"، فقال له أسامة : " أفتوك لايزو " أي أفتوك كذبًا،وحتّى نهايته عن صفعات "عادل إمام" الذى صُفع كثيرًا في بداياته السّينمائية، لكنّه الآن لا يُصفع أبدًا !

مقالات "أسامة غريب" التي نشرها في " المصري اليوم " وجمعها في كتابه " أفتوكالايزو " الصادر عن "دار الشّروق" تؤكّد لك أشياء عديدة أنت متأكّد منها مثل الأزمة التي افتُعلت حول "رشيد" و"أحمد عز" اللذين يعزفان في فرقة واحدة، ويتعرّض لما يحدث من النّصب على المصريين بحجّة سفرهم إلى أوروبا،ويتناول النّصب الذى يتم من خلال

۱۹۰۰، وعن أولئك الكتّاب الذين يكتبون في الصحف القومية والمستقلة أيضًا، والذين لا علاقة لهم بالكتابة من قريب أو من بعيد إلّا أنّهم يجلسون على كرسي مهم أو هم أقارب لرئيس التحرير أو مدير التحرير، وتكتشف في النّهاية أنّ بعضهم أصبح برلمانيًا عبر تزوير رسمي !

المضحك في هذا الكتاب السّاحر السّاخر، العضو البرلماني المحترم الذي أكل ذات مرة على مائدة الرئيس " حاجات محشية حاجات "وهو المعارض له خرج ليقول بأنّه متفائل بمستقبل البلد تحت قيادة سيادة الرّئيس ، ويثق أنّ سيادته وحده يملك الحل لكلّ مشاكل مصر !

اتفاقك أيضًا على تصريحات مخرج " قبلات مسروقة " بأنّ الفيلم لا يحتوى إلا على مائة وخمسة(١٠٥) قبلة لأجل الدّعاية السوداء لفيلمه الأسوأ وعلى فشل فيلم " البيبي دول " وعلى أعمال يوسف شاهين التي أخذت أكثر من حجمها هي نفس "الحاجات " التي يتفق معك عليها "أسامة غريب" .

الصادم في هذا الكتاب البديع قول مؤلّفة:" إن عبد الحليم حافظ لم يكن يمتلك الإحساس بالكلمة الحلوة هو وبليغ حمدي الذي أتمنى أن يراجعه أيضًا تأكيده أنّ "عبد الوهاب" و"عبد الحليم" و"نجاة" و"الرحبانية" غيّروا أو طلبوا التغيير من الشاعر "نزار قبّاني" في كلمات القصائد التي تغنّوا بها، أمّا "كاظم

السّاهر" فقد غنّى قصائد "نزار" كما هي، لم يغيّر فيها شيئًا،الحديث الأوّل صحيح، أما أنّ "كاظم السّاهر" لم يغيّر فهو المنافي للواقع، وقد نشرت في كتابي " نزار قباني والقصائد المغناه " عن دار الكتاب العربي، النصّ المكتوب والنصّ المغنّى لكلّ من تعامل معهم "نزار قباني" ومنهم "كاظم السّاهر" الذي حذف وغيّر وبدل في قصائد "نزار قبّاني"، أمّا قول "أسامة غريب" بأنّ "عبد الوهاب" و"فايزة" و"عبد الحليم" و"نجاة" قد غيّروا بعض كلمات نزار لتعارضها مع الذّوق العام،"وعلى النّاحية الأخرى وجدنا "كاظم السّاهر" يقدّم كلمات نزار كما هي دون حساسية "، وأقول له إن كاظم الساهر – وهو صوت رائع ومتميّز بالمناسبة – قد غيّر كثيرًا من كلمات "نزار" ليس لأجل الذّوق العام العربي، ولكن لأجل "ناس تانية"، ذلك أن شركة روتانا هي التي تتولّى إنتاج ألبوماته،ومن ثمّ لا يستطيع أن يغنّي قصائد "نزار قبّاني" كاملة دون تعديل !

زواج مريض بالسّرطان

الاسم : حسن ماهر حسن

السن : ٢٣ سنة

تشخيص المرض : سرطان في الدّم والنّخاع، أقرّ بعض الأطباء في الصعيد بعد تحليلات وفحوصات أنّه مصاب بأنيميا .

كتبوا له عشرات الأدوية التي تشفي من الأنيميا، وطالبوه بأن يأكل عسلًا أسود !

وإذا كان الطّبيب يشخّص خطأ فما بالنا بتشخيصه بعد أجهزة التّحاليل والأشعة التي في عيادته، والتي أصدر فتواه بناءً عليها بأنّ "حسن "مصاب بالأنيميا !

الدّكتور "مجدي"، طبيب الوحدة الصّحية الذي انتهت مدّة عمله بعد خمسة عشر(١٥)عامًا كطبيب للوحدة الصّحية في إحدى قرى محافظة قنا ، رفض العودة إلى بلده والعمل هناك،وافتتح عيادة خاصّة به حتّى لا يخسر زبائنه . الدكتور "مجدي"، والذي تصرّ أمّي على أنّه أحسن طبيب في مصر،وعيادته ما شاء الله ممتلئة عن آخرها بالليل وبالنهار بالمرضى الذين لا يثقون في أحد قدر ثقتهم فيه ، فحصه

"حسن" وأكّد أنه " مريض نفسي "، وأنّ الحل الوحيد لعلاجه هو " الزواج ".

لكم أتمنّى أن يذهب كلّ مرضى السّرطان في العالم إلى صعيدنا الميمون ليكتشفوا خطأ التشخيص الطبّي لحالاتهم،إذ سيؤكّد لهم الأطباء في الصعيد أنّ لديهم أنيميا أو مرضًا نفسيًا يصلحه الزواج..أو العسل الأسود !

الغريب أنّ العديد من هؤلاء الأطباء ليسوا من أهل الصّعيد ولكنّهم من محافظات أخرى ويعملون في المستشفيات الحكومية منتدبين،أمّا أصحاب العيادات الخاصّة فهم من الصعيد،ويرفعون لافتة على عيادة كلّ منهم مكتوبًا عليها " زمالة كلية كليفلاند أو كلّية في الولايات المتحدة أو بريطانيا أو باريس"،المهم في النّهاية " الفيزيتا "، لكن أن تتأخّر حالة شاب في مقتبل عمره فليس مهمًا،أن يدفع شاب ثمن الحياة ليس هامًاعلى الإطلاق..

أن يتم إنقاذه قبل استفحال المرض، والطبيب ما له وما لاستفحال المرض،الطبيب– في الصّعيد – هو أبو العرّيف،الذى يحيي ويميت، وهو القادر بأمره، لا معارض له،ولا أحد يقول له "لا" .. يعطي مريض السرطان أدوية مريض الأنيميا..وإيه يعني، مصر بخير وفيها ٨٠مليونًا،وكبار قومها لا يرحمون،فلماذا يُرحم الصّغار ؟

تأملت طويلًا الأدوية التي يكتبها الدكتور "مجدي" لمرضاه فوجدتها جميعا أدوية لا تزيد على المضاد الحيوى أو مراهم عادية أو زجاجات شراب للكحّة والبلغم، أي أنّها لا تضر. وأيضاً لا تفيد، لكنّه يمتلك ندّاهة جذب الغلابة إليه وثقتهم وإحساسهم بأنّ الشفاء لن يكون إلا على يديه، لأنّه لا يوجد غيره، ولا يوجد سعر كشف يناسبهم مثل سعره !

"حسن" كان مبتهجًا على الدوام ومبهجًا لمن حوله ، لكنه الآن بعد أن أخبرته أستاذة أمراض الدم في القاهرة بتأخر حالته،راح ينسحب من الحياة رويدًا رويدًا ، وأنا أكتب له ولإرادته ولكي يحبّ الحياة ويعيشها ويستمتع بها ، فالحياة يا "حسن" تستحق أن تُعاش فلا تقفل أبواب البهجة واطلب من "الله" الرضا والسعادة، وها هي الزميلة الأستاذة "عزيزة فؤاد" تكرّمت باستخراج خطاب علاج على نفقة الدولة له في معهد ناصر، لأنّه لا يمتلك مصاريف العلاج في "القصر العيني الفرنساوي"، ووالده لا يريد له أن يذهب ليتعالج فيه .

لماذا يا أبو حسن ؟

" أخاف أن يموت ابني ويرهنوه في ثلاجة الموتى حتّى أسدّد ثمن علاجه، وأنا لا أملك ثمن هذا العلاج ".

ثلاثة أيّام و"حسن" يسكن الرّصيف أمام معهد ناصر،حدّثت الدكتور "بهاء أبو زيد" مدير معهد ناصر ، أبدى

استعداده التام لقبول الحالة في المعهد ، بقيت مشكلة وهي أنّ قرار العلاج بخمسة آلاف جنيه فقط ، وهي لا تكفي أسبوعًا لعلاج مريض بالسّرطان ، والمشكلة الثانية: أنّ التقرير مكتوب فيه أنّ الحالة تحتاج لعلاج " باطنة " وليس " أمراض دم " وكان على "محمّد" شقيق حسن أن يذهب كلّ يوم من وزارة الصّحة وحتى معهد ناصر ، بينما "حسن" يتمسك بحقّه في الحياة وفي البقاء رغم غول السرطان .

"حسن"الحالة الأولى في قريتنا التي تصاب بهذا المرض اللّعين، حسب معرفتنا، فقد تكون هناك حالات سابقة شخّصها أطباء صعيدنا بأنّها أنيميا أو مرض نفسي، إذ يؤكّد والده أنّ العلاج الذي أعطوه له أسهم في تأخّر حالته الصحية،وكان من الممكن أن يموت ويُدفن ويُحاسب ويظلّ حتّى يوم القيامة لا يعرف أحد طبيعة مرضه .

وهذا صحيح فقد نسيت أن أقول بأنّنا ندفن موتى قريتنا دون تصريح من وزارة الصحة .والله العظيم بندفن موتانا دون تصريح من وزارة الصحة .!!!

محمود عوض الممنوع

هل "محمود عوض" ممنوع من الظّهور في تلفزيون مصر ؟

هل "محمود عوض" ممنوع من الكتابة في صحافة مصر ؟

اشطب السؤالين السابقين،وتعالى أحدّثك عن محمود عوض .

حاضر الذّهن دائمًا في حالة تركيز عالية،منساب بالحكايا،لديه قدرة على الصمت والهدوء رغم أنّه يجاور السفارة الإسرائيلية !

الكاتب الكبير "محمود عوض"، الذي عاش عصورًا وجاور عظماء وتخرّج في مدرسة "أخبار اليوم" ورفض — ومازال — أن يكون للكيان الصهيوني قيد أنملة في بلادنا، لكي تمر إلى بيته بجوار كوبري الجيزة لابدّ أن تقف أمام المعبر أو الكمين الذي تقف عليه مجموعة من الضّباط والعساكر لتسأل من أنت؟وإلى أين ذاهب ؟! ويحتار من هم مثلي لمن يذهبون هناك سوى محمود عوض !

فليس معقولا أن تذهب إلى السّفارة الإسرائيلية مثلا،وقد اختار "محمود عوض" البقاء في هذا المكان— ليس حبًا في علم السّفارة المرفرف أعلى البناية المجاورة ولكن إجبارا لمن رأوا في

مؤسسة أخبار اليوم أنّ قلمًا في قامته يجب أن يصمت .
فالصّمت من شيمة الحكماء !

النّظام المصري أيضًا يرى في "محمود عوض" ما لا نراه نحن،يرى أنّ "محمود عوض" لا يحب مصر ولا تهمه مصلحتها في شيء ،ويرى أنّ "محمود عوض" يجب أن يصمت ، فما سيقوله في التليفزيون المصرى سيضرّ بالأمن العام ويضرّ بمصلحة البلد.

عندهم حق .. هم أحرار في بلدهم ، ولكن لي عندهم مطلب ، وهو أن يعاملوا "محمود عوض" مثلما يعاملون جيرانه في السّفارة ، ف"النبي" وصّى على سابع جار،فلو عاملوا "محمود عوض" مثلما يعاملون جيرانه،سوف يفيدهم كثيرا،ولن يؤذيهم مثلما يفعل جيرانه مع النظام .

يحيا "محمود عوض" الآن في جريدة عربية بعد ما أصاب سوء النظر العديد من رؤساء تحرير الصّحف في مصر، وعدم مقدرتهم على جذب قلم في قامة "محمود عوض"، ولا أعرف ما الذي يضايقهم في قلمٍ بهذا الوزن وهذه القيمة له آلاف القراء الذين يلهثون خلف مقالاته ويسعون إلى تتبع رؤاه وتفكيره، خاصة أنّه كاتب شامل من طراز فريد يكتب في الأدب وفي السّياسة وفي الفن، ويبحر عبر " شخصيات " تمثّل

أساطين الفكر والأدب العربي؛ ليكشف رؤاها وتفكيرها وحياتها .

محمود عوض الذى يقدّم النصيحة للأجيال المختلفة ، ويتبنّى العديد من الموهوبين في بلاط صاحبة الجلالة ،وعلى استعداد لأن يذهب إلى الموهبة حتّى عقر دارها ويأخذ بيدها إلى الطّريق الصّحيح ، وهو عكس قامة أخرى هي الأستاذ "هيكل" ، فعلى الرّغم من أنّهما نفس الجيل ونفس المكانة فإنّ من ينظر إلى تجربة كلّ منهما سوف يتوقّف كثيرًا وقفات تحتاج إلى مقالٍ آخر يفرد لها .

يميل "محمود عوض" كثيرًا إلى البساطة في أسلوب كتابته والجملة القصيرة والبداية عبر أقصوصة أو حكاية . إنّه القالب الروائي الذى يجعلك مصرًا على الوصول إلى النّهاية بأي طريقة، فهو " يجيب رجلك " من أوّل جملة، فإذا أراد الكتابة عن "طه حسين" مثلاً يبدأ كالآتى " لم أكن أنوي الكتابة عن طه حسين .

طلب منّي صديق أن أتوسّط له عند "طه حسين" لكي يوافق على أن يسجّل للتليفزيون حديثًا أدبيًا ومناقشة محدودة .

وافق طه حسين .

سألت صديقى : "كم من الأجر سيصرفه التليفزيون لطه حسين، فيما لو تم تسجيل هذا الحديث ؟"

بعد عملية جمع وضرب وقسمة وطرح وخصم، المبلغ هو:١٨ جنيهًا و٦٠ مليمًا !

بالصدفة، سألت عمّا تتقاضاه راقصة مبتدئة عن المدّة نفسها . فعلمت أن ما تتقاضاه حضرة الرّاقصة المبجّلة هو ٢٨ جنيها .

إنني لم أمتعض، ولم أبتهج . فقد فهمت الدّرس بوضوح :إنّ هزّ البطن أهمّ لمجتمعنا كثيرًا - وكثيرًا جدًا - من هزّ العقل . قلة عقل .

حكاية سمعتها من "محمّد عبد الوهّاب" لثالث مرة ." وهنا أنت تلهث مثلي وراء "محمود عوض" لتعرف الحكاية التي بالتأكيد سوف تكون عن طه حسين، فهو يحكي .. يجذب كما "محمّد التابعي" و"إحسان عبد القدوس" و"مصطفى وعلي أمين" و"أحمد بهاء الدين". جيل أنشأ مدارس صحفية لها مكانتها وقاماتها السامقة يلخّصه "محمود عوض" عبر حكايته مع "إحسان عبد القدوس" والصفحة الأخيرة في أخبار اليوم . "حدث هذا منذ سنوات .. استدعاني "إحسان عبد القدوس" رئيس التحرير الذي أعمل معه في جريدة "أخبار اليوم ".

وقال لي :" ممكن تفكّر في موضوع تكتب عنه في الصفحة الأخيرة هذا الأسبوع ؟"

سألته مندهشاً :" أي صفحة أخيرة ؟"

قال إحسان : "الصفحة الأخيرة من " أخبار اليوم " !

قلت محاولًا تذكيره :" إنّ كاتبها الثابت هو أنيس منصور ."

ردّ إحسان :" أعرف ذلك .. ولكنّني أريدك أن تكتبها هذا الأسبوع" .. قلت : "لماذا ؟"

ردّ إحسان : "لأنّ أنيس اختفي، ولا أدرى أين هو الآن .. ولا متى سيرسل مقاله الأسبوعي."

قلت له :"صحيح إن اليوم هو موعد تسليم مقالات الصّفحات الثابتة من الجريدة .. ولكن أنيس دقيق في مواعيده كساعة سويسرية .. وربّما نستطيع انتظار مقال أنيس حتّى صباح الجمعة" .

فقد "إحسان" أعصابه لأول مرة منذ عشر دقائق .. وردّ في عصبية : "أنا هنا رئيس عمل، ولستُ زعيم قبيلة ! أريد مقالا منك للصّفحة الأخيرة غدا !"

عند كلمة " غدا " أحسست أنّ "إحسان" وصل إلى النقطة التي يستحيل عندها التفاهم معه.

بالطبع"إحسان"رئيس عمل .. ولكنّه يتعامل معي بالحب .. وليس بالسّلطة !

وبالإضافة إلى ذلك فإنّ الأفكار لا تأتي للكاتب بقرار من رئيس التحرير،حتّى لو كان هذا الرّئيس هو "إحسان عبد

القدوس" ! إنّ "إحسان" بالنسبة لنا لم يكن أبدا "رئيسا " للتحرير . كان "إحسان" هو الصديق والأخ الأكبر والأب وحامل همومنا والمخفّف عن آلامنا . كان واحدًا ينتمى بحكم شهادة الميلاد إلى جيل آخر . ولكن بحكم المشاعر ينتمي إلى جيلنا .. مضروب مثلنا، متواضع رغم أنفه، غني بالأمل كأي شاب، فقير في السلطة كأي كفاءة، مهزوم كأي فنان، الذي يستطيع أن يحرّك جبلًا .. برقّته، وليس بعضلاته !

لقد خرجت من مكتب "إحسان" مباشرة إلى مترل "أم كلثوم" !

وفي اليوم التّالي عدت لإحسان بمقال عن "أم كلثوم"، لكي يرسله إلى المطبعة فورا ، ويُنشر في العدد الذى صدر بعد يومين من أخبار اليوم !

في الأسبوع التّالي تكرّرت نفس القصة.

في اليوم التّالي عدت له بمقال عن طه حسين– وللمرّة الثانية– نشره إحسان في الصفحة الأخيرة .

ثمّ .. ظهر أنيس منصور،بعد اختفائه في الإسكندرية لمدة أسبوعين . في هذه المرة كنت أوّل من نقل الخبر إلى إحسان .. ثمّ استدرت خارجاً من مكتبه .نادى "إحسان" متسائلا:إيه رأيك تكتب في صفحة عن الشيخ "الباقوري" ؟ قلت:أي صفحة؟رد مبتسما: أنت تكتب .. وأنا أنشر ! قلت : ما الذي

تريدني أن أكتبه عن الباقوري؟ تساءل إحسان في عصبية : "من الذي يكتب، أنا .. أم أنت ؟"

كانت عصبية "إحسان" هي دائمًا مثل جرس المدرسة .. انتهت الحصّة نتكلم في موضوع آخر !

غلب إيه ده يا ربي ؟! هم رؤساء التحرير مالهم ؟ ألم يسمعوا أبدًا عن اختراع .. اسمه الديمقراطية ؟!

إنني خرجت من مكتب "إحسان" غير متحمّس، لا للكتابة ولا للباقوري . وظلت هذه هي حالي إلى أن أتى موعد تقديم المقال .

وبينما أنا في حالة اختفاء كاملة عن "إحسان" وعن أخبار اليوم .. عثر عليَّ مصور زميل في الجريدة وصاح متحمسًا بمجرد أن رآني:" أنت فين ؟ الأستاذ إحسان كلّفني بأن أذهب معك إلى الشيخ الباقوري لكي أصوّره بمناسبة المقال الذي ستكتبه هذا الأسبوع !"

قلت له :" ولكنّني لم أكتب شيئًا ".

ردّ المصوّر مذعورا: " لا تكشفنا مع إحسان وحياة أبوك .. لقد علمت منهم في الجريدة أنّهم حجزوا صفحة خالية تمامًا من الإعلانات .. لنشر هذا الموضوع .. صفحة غير الأخيرة" .

هنا سألته بحماسة : "تقدر تعمل صورة كبيرة ؟ على خمسة أعمدة أو ستة مثلا ؟"

رد : "يا ريت" .

شرحت للمصوّر فكرة الصورة، والمعنى الذي أريده منها،قبل أن أفكّر حتّى في التحدّث تليفونيًا مع الشيخ "أحمد حسن الباقوري" . وذهبنا إلى الباقوري . ونشرت الصفحة بعنوان " اعتذار إلى الله "!

في هذا اليوم بدأ إحسان اجتماعه الاسبوعى معنا بسؤال من جانبه:ما رأيكم في هذه الصفحة الجديدة ؟ أنا قررت أن تكون بابا ثابتا بعنوان "تحليل شخصيات" .. أو — من باب الاختصار— نسمّيها "شخصيات"ونظر إلىّ إحسان ضاحكًا وهو يقول :" الصّفحة دي.. عهدتك" !.. وبدأت "عهدتى" . وبدأت معها مسؤوليتى .

كان إحسان كبيرًا في ثقته، فنانًا في أفكاره، رقيقًا في لهجته .. إنّه لا يطلب، ولكن يقترح . لا يفرض ولكن يثير الحماسة . لا يقرّر ولكن يوحي . هذا رجل فنان يريد منك أن تسمو وتكتشف !وبدأت أختار الذين أكتب عنهم .

كان كلّ شخص يمثّل بالنّسبة لي معنى أريد أن أقوله . وبقدر إحساسي بالمعنى. كان يأتى انفعالي بالشّخص . بعضهم كان الانفعال يبدأ معه بالاختلاف.وبعضهم بالموافقة التي تتحوّل بعد الفحص إلى اختلاف !

إنّها صدمة التوقّعات لكلّ شاب يجد نفسه فجأة وسط غابة نسميّها السلطة !

وفي هذه الشخصيات أيضا عرفت دروسًا كثيرة .. وابتسامات أحيانًا .

وأنا تعلّمت كثيرا من كتب "محمود عوض" مثل "ممنوع من التداول " ، "وعليكم السلام " ، " بالعربي الجريح " ، " أفكار ضدّ الرّصاص" وشخصيات "أم كلثوم" التي لا يعرفها أحد،وعبد الوهاب وغيرهم وغيرهم .

أستاذ محمود عوض .. شكرا .

السّياسة على طريقة "جلال أمين"

المتأمّل للصورة المنشورة في آخر مذكّرات الدكتور جلال أمين "ماذا علمتني الحياة ؟" وهو يرقص فيها مع "تارا" زوجة ابنه أحمد ليلة زفافه (٢٠٠٦) يُصاب بحالة من الشجن والبهجة في آن واحد،ففور انتهائك من مذكّراته الطويلة تصل إلى حصادٍ الأيّام بعد ذكريات مريرة وسعيدة، يندهش فيها "جلال أمين" كيف لزواج استمرّ أربعين عاما من زوجته الإنجليزية "جان" دون التفكير من قبله في الزّواج من امرأة أخرى مصرية،واستمرار عاطفة الحبّ بينهما،والأكبر من هذه العاطفة حبّ جلال أمين لمصر في كلّ مراحل حياته .. منذ وُلد في بيت مفكّر كبير "أحمد أمين" .. وتربّى على بلاغة أبيه وسلاسة

أسلوبه، واختياره لتراكيبه اللّغوية ورؤيته للحياة وحتّى عمله – حاليا – رئيسًا لقسم الاقتصاد بالجامعة الأمريكية .

"جلال أمين" عمره جاوز السّبعين لكنّه يزال يناضل بالكلمة الصادقة والحرة لأجل وطن ترفرف رايات الحرّية على سمائه، مؤمنًا بأنّ النضال الحقيقي هو "نضال الكلمة" لكشف الزيف الذي يحاول النّظام أن يضحك به على الناس، فيرى "جلال أمين" في مذكراته أنّ سياسة "الرّئيس مبارك" هي نفسها سياسة الرئيس "السادات"، والفرق بينهما أنّ السّادات كان رجلًا واضحًا وصريحًا يهدّد علانية ويطرح سياسته على الملأ، بينما سياسة الرئيس مبارك تعتمد على المكر والدّهاء،ويصدم "جلال أمين" في جمال عبد الناصر لكنّه يكتشف مع مرور الزّمن أنه الأفضل والأجمل ممن جاؤوا بعده،فهو يتلقّى خبر وفاة "عبد النّاصر" بهدوء شديد، فقد كان غاضبا مما فعله عبد الناصر ب"محمّد نجيب"،ومن تراجع قضية الديمقراطية والحريات الشخصية " ولم تتغيّر مشاعري نحو "عبد الناصر" مرّة أخرى إلا في منتصف السبعينيات، عندما رأيت حجم التنازلات التي بدأ يقدّمها أنور السّادات لإسرائيل والولايات المتحدة، وبدأت إنجازات "عبد الناصر" في مجالات الاقتصاد والسّياسة الخارجية والعربية تبدو لي في ضوء مختلف تمامًا ، وإيجابي للغاية، بمقارنتها بخطايا "السّادات" في كلّ هذه

المجالات . كما بدا هامش الحرية الذي سمح به "السادات" بالمقارنة بالقيود التي كان يفرضها "عبد الناصر"، مكسبًا ضئيلًا،بل وفي كثير من الأحيان شكليًا وقليل الجدوى .

جاءت مذكرات "جلال أمين" أكثر صراحة من العديد من الكتّاب العرب الذين ارتدوا الأقنعة وهم يكتبون ومنهم الجريء لحدّ الدّهشة "نزار قباني"- على سبيل المثال - الذي جاءت مذكراته "قصتي مع الشّعر" غير كاشفة عن شيء حقيقي من حياته، أمّا بخصوص الأب، فإنّ "جلال أمين" أكثرهم جرأة بعد "سهيل إدريس"، والحمد لله أنّ صراحة "جلال أمين" عن والده المفكّر والمؤرّخ الإسلامي الكبير "أحمد أمين" صاحب المؤلّفات العظيمة " فجر وضُحى وظهر الإسلام "جاءت في أنّه لم يكن يصلّي .. ولم تكن كما قال "سهيل إدريس" عن أبيه !

كان الأمر غريبًا وغير مُصَدّق بالنسبة لي في أنّ مفكرًا في قامة الرّاحل "أحمد أمين" لا يصلّي،فقد تناقشت طويلًا مع نفسي حول الصّورة المنشورة على غلاف الكتاب الصادر عن "دار الشروق"لأحمد أمين وأولاده وزوجته وبناته دون حجاب،ومسألة الحجاب فيها نقاش طويل .

لكن مسألة الصّلاة محسومة وفرض واضح من فروض الإسلام ،وقد يكون الأمر أنّ "جلال" كان أصغر إخوته و لم يتأمّل أو يتعرّف على الأمر على علّاته .

يتناول "جلال أمين" مرور والدته بقصّة حب مع ابن خالها الذي كانت تتمنّاه زوجًا لها، والذي التقته والدته بعد ردح من الزّمن لأداء واجب العزاء "وجلسا معًا في شرفة بيتنا يتبادلان الحديث . كنت أراه في ذلك اليوم لأوّل مرة، فرأيت رجلًا مهيب الطلعة في نحو الخامسة والستين من العمر أو أكثر، فارع الطّول وأنيقا أناقة واضحة "!

لقد سافر "جلال أمين" إلى "إنجلترا" وعمره ثلاثة وعشرين عامًا للتحضير للدّكتوراه والحصول عليها،وظلّ هناك سنوات ست، وانتهى به المطاف إلى شراء شقّة صغيرة هناك ، يذهب لقضاء شهر من الع.ء فيها، وطاف بالعديد من دول العالم أستاذًا للاقتصاد ومو.ـ.ـًا للصندوق الكويتي للتنمية ليكتشف في النّهاية ألاّ شاطئ يتحمّل أن تتمدّد قدماه عليه أجمل من شواطئ مصر،رغم زحامها وعذابها ومللها، ويقارن في مذكّراته بين جيله وأجيالنا، فيرى أنّ هذه الأجيال تبحث عن الحياة الحديثة ، وأن تكون الرّفاهيات أساسيات في حياتهم، لكنّه يُفَاجَأ بارتفاع نسب الطلاق بين هذه الأجيال الجديدة بسبب البحث عن موارد رزق في بلادٍ أجنبية، أو في دول الخليج

للرّفاهية !! فيقول عن أجيال عائلته :"فمن بين عشرين ولدًا وبنتا تزوّج منهم ثمانية عشر، انتهت ثماني زيجات بالطلاق،وكلّهم مازالوا في مقتبل العمر ".

أيضا الدكتور "جلال" مُغتاظ من إهتمام النّاس بكتابه المهم "ماذا حدث للمصريين " رغم صدور العديد من الكتب له بعد هذا الكتاب ؛فإنّه يزال النّاس يذكرونه بهذا الكتاب، ومُغتاظ أيضًا من مسألة ظهوره في التلفاز ومافيها من تكلّف وفواصل الإعلانات العديدة التي تقطع كلامه، وقول أب كلام، ورغم ميله إلى الشّهرة وحبه لها مثل أيّ شخص يعمل بالإعلام أو بالكتابة، فإنه اتّخذ مثله "أحمد بهاء الدّين" الذي لم يكن يكره في حياته قدر دائرة الضّوء، أو حسب قول "كامل الشنّاوي " هذه الأضواء .. كم أكرهها ؟ ابعدوها عنّي ابعدوها " .. لذا قرّر مقاطعة التلفاز، لكنّه لم يقرر أن يريح ضميره عن عذاب هجره لوالده حين كان يطلب الوَنَس بعد أن جاوز الخامسة والستّين من عمره، وحيدًا لا يستطيع أن يقرأ أو يكتب لضعف بصره ، وليس بجواره سوى كمّيات كبيرة من عُلب الأدوية، ولايزال ضميره يؤنّبه أيضًا على الموافقة مع زملائه في قسم "الاقتصاد" في "الجامعة الأمريكية" على تعيين صهر السّادات به حتّى يُنشر اسمُه في الصّحف مقرونا بهذه الصفة أثناء خطبته لابنة الرّئيس السّادات، وكان الأمر من رئاسة

الجمهورية لمدير الجامعة الأمريكية .. فماذا يفعل "جلال أمين" أو سواه في هذه الحالة ؟

عاش الرجل حياة حافلة التقى خلالها العديد من خيبات الأمل والعديد من النّجاحات، وعرف شخصيات تمثّل عصرًا وحقّقت نجومية في كلّ مجالاتها العلمية والأدبية والفكرية والفنية،فجاءت حكاياتها في مذكّراته كالنّسيم حين يلفح الوجوه، ولكن فيها أيضًا ما يشبه السّعير الذي يلفح الوجوه،وذلك عن حكاياته عمّا يحدث في الجامعات المصرية،ومخجلات أساتذة الجامعة وأشياء عديدة أخرى تكشف لك مجتمع الجامعة ، وأشياء تكشف لك وقوف اليهود الصهاينة ضد أيّ عربي في أيّ مكان مثلما فعله معه "برنارد لويس"، ويوميات لوالده وقصّة شراء والدته من والده البيت الذي يعيشون فيه ثمّ تأجيرها البيت لوالده، وأشياء عديدة أحاول أن أجرّ رجلك لها؛لتقرأ وتستمتع مثلي بمذكّرات جلال أمين "ماذا علمتني الحياة " قبل أن تتورّط مع الحياة في أشياء لا تستطيع تحمّلها !

من محمّد التابعي إلى خالد صالح

شكل جديد للصحفي، يتطوّر ويتغيّر وينحدر ويغسل أكثر سوادًا في مسلسلات رمضان هذا العام ،ويكشف كم الانحدار الذي وصلت إليه الصّحافة المصرية،فبينما يقدّم مسلسل "أسمهان" الصّحفي الأسطورة "محمّد التّابعي" وهو رفع سماعة الهاتف في وقت متأخر ليهاتف دولة "حسين سرّي" باشا رئيس الوزراء،ويذهب إليه بعد المكالمة بربع السّاعة جالسًا أمامه واضعا رجلًا على رجل،مشعلًا سيجارته طالبًا إلغاء قرار ترحيل "أسمهان" من مصر، الذي أصدرته الملكة "نازلي"،ولا يملك دولة الباشا إلا الاستجابة،بل ويطلب من "التّابعي" أن يتوسّط له عند "أحمد حسنين" باشا،رئيس الدّيوان الملكي،ويتحدّث فؤاد الأطرش عن أنّ مقالًا من التابعي يرفع "أسمهان" لسابع سماء؛ومقالًا يهبط بها إلى سابع أرض،يأتي "خالد صالح" و"طارق عبد العزيز" في مسلسل"بعد الفراق" ليقدّما الصّحفي على أنّه الدلدول،السمسار،الكذّاب،الذي يلفّ ويدور ، ورغم موهبة "خالد صالح" ووعيه فإنّهما حالا دون قدرته على تقديم عمل يليق به،لقد خانه اختياره للدّور كثيرًا ، فليس معقولًا لأنّه نجح وصار " نجما " أن يقدّم كلّ الأدوار المناسبة له وغير

المناسبة ، فهذا الثوب في " بعد الفراق " جاء واسعًا على "خالد صالح" وغير مناسب لموهبته ولا سنه .

نعم الفنان يتشكّل حسب طبيعة الدور،لكن تَشَكّل "خالد صالح" هذه المرة إساءة إلى الدّور وإلى "خالد صالح" نفسه ، أمّا "طارق عبد العزيز" الذي مهّد الطريق لصعود الصّحفي السمسار الفاسد،فيبدو أنّه قرّر التخلّي عن أدواره الكوميدية،وقد كان مُرَشَّحًا بقوة ليخلف "علاء ولي الدّين" في ساحة الكوميديا ،وراح يقدّم هذه الأدوار التي ليس من ورائها سوى الإساءة لبلاط صاحبة الجلالة،الذي تحوّل إلى سيراميك على يد "خالد صالح" و"طارق عبد العزيز"،وعلى الرّغم من ذلك لا أنكر نجاحه المبهر في تقمّص هذه الشّخصية وبساطته وعدم تكلّفه في الأداء ،وعلى الرّغم من تشكّل الفنان حسب الدّور– كما ذكرت – أرى "طارق عبد العزيز" طاقة كوميدية كبيرة لم تُستثمر حتّى الآن ، ومختلفة عن السّائد في عالم كوميديا الهلس التي أوجدها "محمّد سعد" و"أحمد مكّي" في "اتش دبور "، وعليه أن يرعاها ويهتمّ بها ولا يهملها .

أمّا مسلسل "الدالي "فقد قدّم الصحفي أدهم فارس – الذي لعب دورة بتألّق المذيع "عمرو يوسف" – الصّحفي الشريف الجريء الذى باع قلمه لعائلة الدّالي وفتح له "سعد الدّالي" أو "جيمس بوند الدّالي" وكالة إعلانات وزوّجه ابنته وولاه إدارة

شركة استيراد وتصدير ، إلى يسرا في مسلسل " في أيد أمينة " والذي لا كان في أيد أمينه ولا يعرف الأمانة من أصله،حيث قدّمت يسرا في ستينيات عمرها دور صحفية تحت التمرين،ولا أدري الأسباب التي دعت "بيسرا" أن تقبل دور فتاة عمرها ٢٠ عامًا خلاف الأجر وحرصها على الوجود بعمل في رمضان كلّ عام،وهي بذلك تشبه الجرجير الذي لابدّ منه للسّلطة في رمضان ، مع أنّها لم يكن منها بدّ في هذا الدّور .!!!

ماذا يريد "أحمد عبد الفتّاح"و"وليد يوسف"و"محمد أشرف" مؤلّفو مسلسلات من إهانة الصّحفيين هذا العام ؟

إنّ طريقة عرضهم لحياة بلاط صاحبة الجلالة يكشف عن جهلٍ تامٍ بالوسط الصّحفي،إذ يبدو أنّهم يعتقدون أنّ الوسط الصّحفي يشبه"سوق العبور"،فبين صفحات للبطيخ، وصفحات للجوافه يعيش الصحفيون .

وعلى الرّغم من أنّ الوسط الصّحفي يعجُّ بقضايا الفساد والتربّح والزيف، فإنّ كل المعالجات الدرامية لديهم افتقرت إلى معالجة حقيقية تكشف فساد بلاط صاحبة الجلالة،ويبدو أنّهم لم يدخلوا ذات يوم إلى مطبخ صحفي، أو أنّ علاقاتهم تقتصر على بعض محرّري الفن الذين يتعامل بعضهم مع الصّحافة بوصفها " سبوبة " تحقّق له أرباحًا طائلة في أقصر وقت ممكن !

لقد قدّم "بهاء ثروت" في دور "محمّد التّابعي" صورة للصّحفي الحقيقي الذي ينبغى أن يكونه،فعلى الرّغم من أنّ "بهاء ثروت" يخاصم "التّابعي" تمامًا في الملامح،فإنّه لعب دور إمبراطور الصّحافة بثقة وأداء ينمّان عن معرفته الجيّدة بحياة "محمّد التابعي"،وتصرّفاته وعلاقاته وصداقاته بالملوك والأمراء والسّاسة والوزراء والفنّانين،ولعلّ هذا الأنموذج يكشف لنا شيئًا مهمًّا،وهو مدى الانحدار الذي وصلت إليه الصّحافة من الأربعينيات وحتّى ألفين وثمانية(٢٠٠٨)، فالمعالجات الدرامية تكشف نظرة البعض إلى هذه المهنة السّامية،ومحاولات البعض منهم إفسادها،وننتهي إلى أنّ مهنة القلم استطاع نظامنا المبجّل اختراع عيّنات من أمثال "عبّاس بزرميط" و"خليل أبو شفة" و"المتعوّس" الذي لم يخب رجاؤه أبدًا فهو يحصد الشّهرة والمال والسّلطة ، ورغم أنّه لا يمتلك الفانوس السّحري ولا مصباح "علاء الدّين"، فقط يمتلك قلمًا يشبه راقصة الموالد ، على كلّ صفحة تهزّ لكل مسئول هزّة .

أنطونيو بانديراس وحمدي قنديل

الشاهد والحاضر والمتابع لفعاليات مهرجان "أبوظبي السّينمائي الدّولي الثّاني" مجبر غصبًا عنه، خاصّة إن كان مصريًا مثلي،أن يقارن بين مهرجاهم ومهرجاننا،بين فعالياهم وفعالياتنا، بين القاهرة التي لعبت دورًا رائدًا في تأسيس الفنون منذ الفراعنة وحتّى الآن، وبين مهرجان عمره الفني عامين .. استطاع أن يلفت إليه أنظار العالم،وأن يحضره نجوم أمثال "أنطونيو بانديراس"و"ميج ريان"و"جين فوندا"و"سوزان سوراندون"، بل وأن يجعلوا نجمة في حجم "ميج رايان" تُمْسك بورقة وتقف على المسرح لتقدّم حفل افتتاح المهرجان،بينما نحن تلاحقنا خيبات الفشل من "حسين فهمي" إلى "عزّت أبوعوف" ." بفلوسهم " .. قد يقول قائل ذلك، ولكنّي أجيبه بأن لدينا أموالًا أيضًا، وأكثر من " أموالهم " لكنّنا لا نصرفها على مهرجانات أو تسكين مشرّدين أو حتّى الدعاية لمصر في الخارج، نحن " نحوّش " فلوسنا في بنوك "سويسرا" عملاً بالمثل القائل:"القرش الأبيض ينفع بعد ما أقتل لي ألفًا وثلاثين شخصًا(١٠٣٠ بني آدم) وأهاجر على لندن ".

وممنوع على الصّحفيين المصريين حضور افتتاح مهرجان القاهرة السّينمائي_حسب تصريحات وزير الثّقافة في روز

اليوسف_وهذا هو العادي بالنسبة لدولة تقدّر الصّحافة،وتعرف قيمتها جيدًا .

يترأس مهرجان "أبوظبي" محمد خلف المزروعي، الذى قدّم عشرات المشروعات إلى الثّقافة والفنون في "أبو ظبي"، ويدير المهرجان "نشوى الرويني"،وهى إعلامية مصرية، بالمناسبة لديها شركة تجلب من خلالها العديد من نجوم العالم، بل وتقدّم بعض النّجوم العرب للمشاركة في أفلام عالمية كما حدث مع "غسّان مسعود" و"خالد النّبوي"و"عمرو واكد"،وبالتأكيد تقدّم برنامجًا من خارج مصر، ومن قناة "دبي" تحديدًا،وهي نفس القناة التي يقدّم منها "حمدي قنديل" برنامجه، وذلك أنّ السّياسة المصرية لديها إصرار تام على قتل المواهب وطردها عملًا بأنّ هذه الموهبة سوف تموت إذا تجاهلها التلفاز المصري !

هناك فضائيات أفضل مليون مرة من تلفازنا الرّائد،وأن "الموهبة كالجريمة لابدّ أن تنكشف في يومٍ ما"، ولعلّ من الأولى أن يتّخذ وزير الإعلام خطوة للأمام يخبر فيها العالم العربي بأنّ النظام المصري نظام يؤمن بالشّفافية ووجهة النّظر الأخرى،فيستضيف رجلًا مثل "حمدي قنديل" في "البيت بيتك" مثلًا ، ويعطي الفرصة لأبناء مصر الذين ينجحون في الخارج لأن ينجحوا في الدّاخل .

إنّ إعلاميًا مثل "حمدي قنديل" تنطبق عليه المعايير المهنية العالمية،وليس العربية فقط،ومن السّهل أن يصنع التلفاز المصري برنامجًا آخر في مواجهة برنامجه، وتتمّ إذاعة البرنامجين على التلفاز المصري .

بالتّأكيد هي أحلام العصافير كما قالها عبد السّلام النابلسي"ذات يوم،وحتّى العصافير لا تحلم في وطنٍ يطارد الموهوبين ولا يحنّ إلا على أولي البأس والقوّة .

على اسمها يتواعد العشّاق، وبجوارها يلتقي الأحبة، ذلك لأنّها صارت مَعْلَمًا من معالم وسط القاهرة،كان العشّاق يلتقون منذ عشرات السنين في "جروبي" في ميدان طلعت حرب،لكنّهم الآن يتواعدون أمام "مكتبة مدبولي"، حيث صارت للعشق مساحة، وصارت للمعالم والمزارات الجميلة في وسط القاهرة قيمة .

حين تدلف إلى هناك ذات مساءٍ صيفي تجد الحاج "محمّد مدبولي" قد وضع كرسيًا من الخيزران،وجلس عليه ليشرب فنجان قهوته متأمّلًا الحياة والكتب والعشّاق الذين يعبرون أمام مكتبته، وكأنّه يدعوهم لقراءة كتاب في العشق .

الرجل رحل في سبعينيات عمره بعد أن عاش شيخوخةً نبيلة قضاها في التأمّل والبحث عن كتاب مناسب لقارئ هذا العصر. وها هو نعشه يعبر مسجد السيّدة نفيسة تاركًا العشّاق والكتب وكلّ شيء في دنيا غرورة، يقرأ كتابه اليوم بنفسه،كلّما رحت أو غدوت في شارع "طلعت حرب" أَمُرُّ على المكتب، أجلس معه في الشّارع إذا كان الغروب وفي ليالى الشتاء يخدّره الصّقيع فيسكن بطون الكتب، يندهش ابنه محمود كثيرًا من حكاياتنا ويندهش أكثر حين يعرف أنّ أباه عاصر

كلّ هؤلاء وصادقهم من"جمال حمدان ويوسف إدريس إلى نجيب محفوظ وبهاء طاهر" .

كانت دائمة ذاكرته تخترق الحكايات، وكثيرًا ما ردّد أمامي أنّ "جمال حمدان" ألحّ عليه كثيرًا في كتابة مذكراته ليفتح عالمه الخاصّ منذ جاء إلى القاهرة من محافظة "سوهاج"، وعمره لا يزيد على السنوات الخمس، وعمل مع والده بائعًا للصحف حيث يبدأ مشوار البيع اليومي في الثالثة صباحًا من كوبري أبو العلا وحتّى كازينو بديعة - الذى أُقيم بدلًا منه "شيراتون القاهرة" الآن-ثمّ يتّجه إلى"جامعة القاهرة"عابرًا بشارع ملاعب الجامعة ثمّ يعود إلى "كوبري الجلاء" ليحمل المزيد من الصّحف ويركب التروماي القادم من الجيزة إلى إمبابة، وبعد أن ينتهي من توزيع الجرائد يبدأ رحلة ثانية من "الجلاء" إلى الأوبرا —حيث كان "فشلاق إنجليزي"- ويظلّ حتّى الحادية عشرة والنّصف ثمّ يذهب إلى سميراميس حيث قيادة الجيش الإنجليزي،وبعد ساعتين يذهب إلى قصر الدّوبارة — عمارات العرائس الآن المجاورة لقسم قصر النّيل — حيث مدرسة الجيش الإنجليزي، وكان ينتظر في الخارج، أبوه فقط هو الذي يدخل لأنّ لديه تصريح دخول "برابنت"، ثمّ يذهبان إلى مدرسة "الكونستبلات الإنجليزي"،ثمّ الرّحلة الأخيرة إلى ميدان "طلعت حرب" بجوار "جروبي" .

حكاية طويلة للحاجّ "محمّد مدبولي"— رحمه الله — الذي ظلّ يقابل نجيب محفوظ ثلاثين عامًا(٣٠ سنة) بشكلٍ يومي كل صباح ليبيع له الجرائد والكتب التي يجيء بها من "بيروت" مثل:كتب "ألبرتو مورانيا" و"ولسون" وغيرهما، وكذلك كانت علاقته ب"محمود تيمور"، وكان يذهب إلى "محمّد حسنين هيكل"في بيته،حيث يراه صديقًا ورجلًا وإنسانًا واعيًا، بل يقول عنه في حوار أجريته معه:"هيكل رجل العصر،بل هو رجل لكلّ العصور. معلّم كبير وصاحب بصمة وفكر. رجل يقابل من باب كبار الزوار في العالم .أظن أنّه رئيس جمهورية الدّنيا . وكل نقده بنّاء وفي صالح البلد والأمّة ".

شهدت العديد من الأزمات في حياة الحاج مدبولي، وكتبت عنها، لكن الأهمّ من ذلك الثماني كراتين الممتلئة بالكتابات عنه من"دير شبيجل"الألمانية إلى "هيرالد تريبيون" إلى التليفزيون الأمريكى والـcnn والـbbc و"الجزيرة" و"الشرق باريس".. أجزاء من حياة مدبولى متناثرة على الورق، فلماذا لا يتحرّك أولاده ويصدرون حكايات الحاج مدبولي في كتاب؟!

تستطيع الآن أن تُلقي بآلاف الأوراق المسودة بحبرها جانبًا،وأن تشاهد قناة "الجزيرة" فتجد الأخبار العادية، وتسأل عن قادة حماس فتُجاب بأنّهم عادوا إلى خنادقهم ، وعن "عبّاس" بأنّه كلّ يوم على مأدبة حاكم عربي، وتسأل عن الذين ذهبوا إلى القمم، والذين عادوا منها، فتعرف أنّهم عادوا كما ذهبوا،وتسأل عن إسرائيل فتجيئك الإجابة مسبقًا بأنّها مازالت تتربع بطغيانها وجبروتها وترساناتها المسلّحة،وزادت عن ذي قبل، لكن أرجوك لا تسأل عن الثّكالى وعن المهدورة حياتهم، وعن الذين يَلْتَحِفُون العراء، وعن الذين ماتوا ولم يتعرّف إليهم ذويهم، وعن الذين ذهبوا يبحثون عن وطنٍ آخر فتلقفتهم القنابل والصّواريخ ..

لا حاجة للرّجل العربي أن يسأل عن هؤلاء الذين حُرِمُوا من الحياة،ولا عن الذين ماتوا ضحايا لا لشيء سِوَى أنّهم اختاروا فلسطين لهم وطنًا !!.

لن تكون هذه هي الحرب الأخيرة التي يخسر فيها الإنسان آدميته، ويعود دون أطراف، يعيش حياته مُشَوَّهًا، مكتوبًا عليه أن يدفع ثمن تراجع النّخوة العربية، وهروب الرّجال في عصر لم يعد بحاجة إلى الرّجال .

ستُحفظ مئات الأبيات من القصائد في كتبها على رفّ ما في مكتبةٍ ما، وستدوس الذّاكرة العربية على ما حدث ، ويجلس القادة مع إسرائيل على مائدة المفاوضات مرّة واثنتين وعشرة،ولسوف يعيد الرّئيس "الأسد"مفاوضاته، ولسوف يخرج "حسن نصر الله "بخطاباته اللّغوية المبهرة التي يقشعرُّ لها البدن، ولسوف نُلقي إسرائيل في البحر .

بالتأكيد لن نُلقي بها في البحر الأحمر أو الأبيض أو حتّى البحر الميت، ولكنّنا سوف ننتظر مئات السّنين حتى يخترع العرب بحرًا خاصًا لإلقاء إسرائيل فيه،ويُسَمَّى "بحر الإلقاء"،وهو بحر لا علاقة له ببحور "الخليل بن أحمد"، ولكنّه يأتي بعد نهاية القصيدة لتُلقَى في قاعة أو أمسية ما.. إنّه إلقاء وحيد يتميز به العرب، وهو إلقاء الشّعر !

أما إلقاء الأموال فها هي تُلْقَى على "غزة" من كل حدْبٍ وصوب لإعمارها، تُرَى هل يعيد هذا الإعمار ذلك الإنسانَ الضّحية الذي راح تحت أنقاضها ؟!!!!!

بالتأكيد هذه الأموال شيء محمود وطيّب تعلن عن تعاطف حقيقب مع أهالي "غزة"،لكنّي هنا أحاول أن أجد إجابة لنفسي عمّا حدث لهذه المدينة الصّامدة، وأحاول أن ألوم.. هل ألوم حماس، أم فتح، أم العرب، أم إسرائيل، أم الذين لا يعنيهم

شيء في العالم سوى ذلك الكرسي الذى سيحملونه يوم القيامة كشاهد على ما اقترفوه في حقّ الفلسطينيين ؟

لا أعرف من ألوم، فهل تعرف من نلوم ؟!!

سليم شافيز عزوز السوهاج

تأمّل ملامح "شافيز" وملامح الكاتب الصّحفي "سليم عزّوز" !

ملامح "سليم عزّوز" السّوهاجي الأصل تشبه ملامح "شافيز الفنـــزويلي"،لكن الفرق بينهما أنّ "شافيز" استطاع العودة إلى الحياة السّياسية بعد اعتقاله ومحاولة التخلّص منه،و"سليم عزّوز" لم يستطع العودة إلى الحياة الصّحفية المصرية بعد سحله وتعذيبه من قبل أمننا الموقر .

يُهْدِي "سليم عزّوز" كتابه الأخير "شر البلية .. في السّياسة والذي منه"إلى عمّنا الساحر الكبير"محمود السّعدني"،ويستعرض بحسٍّ ساخر ونادر رؤيته للحياة السياسية .

وعلى عكس كُتّاب عديدين يُصَدِّرون اسمهم بالكاتب السّاخر فلان على الرّغم من أنّه كاتب " ينقط " يقول سليم عزوز ":" ورغم أنّني لا أصف نفسي ضمن الكُتّاب السّاخرين فإنّني وجدت فيها سخرية، رأيت من المناسب أن يضمّها كتاب واحد، ربّما أنّها تندرج تحت باب كوميديا الموقف،فكثير من المواقف التي نمرّ بها أكثر سخرية من محاولة كاتب أن يكون ساخرًا ".

صحيح أنّ هناك حصًنا بين القرّاء، والزّملاء، من يضمخوني في خانة الكُتّاب السّاخرين، لكنّني لا أعتقد أنّ بعد عمّنا "محمود السّعدني"، والأستاذ "أحمد رجب"، من يستحقّون هذه الصفة (صفة الكاتب السّاخر)، والبعض يعتقدون أنّهم بـــ(الشقلبة)أمام القراء،أو بالاستظراف، صاروا كُتّابًا ساخرين،وهناك من يعتقد أنّه بالقدرة على إطلاق عدد من النّكات، صار كاتبًا ساخرًا، ويجد من يعامله على هذا النّحو .

" لا تثريب عليكم اليوم " ف"سليم عزّوز" يسوِّد صفحات وصفحات في الهجوم على "عمرو خالد" والأسباب خلاف واقعة الدانمارك، أنّ الدّاعية الشّهير نجح في جذب الشّباب"الفافي " إلى التديّن والصّلاة والحجاب واحترام تعاليم الإسلام ، والغريب أنّ "سليم عزّوز" يهاجم "عمرو خالد" بنفس طريقة هجومه على "نبيلة عبيد" في مقاله قبل الأخير من كتابه " شرّ البلية "،فنبيلة التي جاوزت السّبعين وتسعى إلى البريق والشّهرة والبحث عن الأنوثة، و"عمرو خالد" الدّاعية الشّاب يسعى أيضًا إلى البريق والشّهرة، والبحث عن الشّياكة والأناقة .

وعلى الرّغم من أنّ "الله" لم يكرمني بحضور لقاء واحد لعمرو خالد فإنّني أرى فيه قدوة للشّباب وقيمة ومكانة، ولا أعتقد أنّ ذنب "عمرو خالد" أنّ من تلاميذه "أحمد الفيشاوي"

و"تامر حسني"، وكليهما تملأ فضائحه كلّ مكان، فيبدو أنّ "عمرو خالد" حاول، لكن محاولاته باءت بالفشل، فالله يهدي من يشاء ، و"عمرو خالد" في النّهاية بشر يخطئ ويصيب .

تلمح بين العديد من مقالات الكتّاب "فرج فودة" يطلّ عليك،فل"سليم عزّوز" كتاب بديع عنه لم يُعد طباعته مرّة أخرى يتعرّض فيه لحياة "فرج فودة" الإيجابي منها والسّلبي،ويكشف سعي "فرج فودة"–رغم مكانته– إلى فبركة الّشائعات حوله ومنها ابتكاره لشائعة أنّ الدكتوراة الخاصّة به مضروبة من الولايات المتحدة الأمريكية، وبعد ذلك قام بنشر شهادة الدّكتوراة الحاصل عليها في الاقتصاد الزّراعي من جامعة "عين شمس" في مجلة "آخر ساعة"، وكذلك اتفاقه مع "سليم عزّوز" على أن يشيع أنّ "فرج فودة" زوّج ابنته من ابن السّفير الإسرائيلي، وكان عمر ابنته الكبرى ثلاثة عشر(١٣) عامًا والصغرى عشر (١٠) سنوات تقريبًا !

و"سليم عزّوز" كاتب يكتب بنصل السّكين محبًا لهذا الوطن بعمق، وظلّ يكتب مقالًا يوميًا في جريدة " الأحرار " منذ عام ٩٩ وحتّى عام ٢٠٠٢ ، حتّى طالب نظامنا المبجّل بمنعه فَمُنِع،رغم قول "عمرو موسى" إنّ قلم "سليم عزّوز" قلم منعش! ؛ لذا قرّر الأمن إنعاشه على طريقته الخاصّة، وبأن يردّ كلمة المنعش إلى الإنعاش وليس إلى البهجة !

يهاجم "عزوز" أيضًا "محمّد حسنين هيكل" واصفًا إياه بمالك سلاح الأرشيف في محاربة الأعداء، ويطلق النّار على

الشّيخ "يوسف البدري" وعلى "خالد الجندي"، لكنّك لا تملك أمام قلمه إلا الاحترام، فهو ليس شتّامًا ولابذيئًا، لكنّه حسن العبارة، لا تدخل المجاملة ضمن قاموسه، ومازلت أذكر كيف حاول رجال قائدنا الأستاذ "إبراهيم نافع" منعه من دخول نقابة الصّحفيين لشنّه هجومًا على "إبراهيم نافع" .!

وَلَكَم كنت أتمنّى أن يسرب قرار المنع هذا، فلو جلس "عزّوز" في بيتهم لأخرج لنا عشرات الكتب البديعة، ولكانت أفضل من مناقراته اليوميّة و"سليمان الحكيم" في كافتيريا النّقابة، والتي لا يخرج منها المرء بـــ" خيرًا ".

لقد حضرت بعضًا منها منذ عدّة سنوات،وبعادتي لا أذهب إلى مبنى النّقابة إلا مرة كلّ عام لأجدّد الكارنيه الخاصّ بي،وكلّما ذهبت وجدتهما في نفس المكان يتناقشان في نفس الكلام بلا فائدة،لذا أطالب بعودة "إبراهيم نافع" نقيبًا للصّحفيين ليجلس "سليم عزّوز" في بيته ،ثمّ يعود الأستاذ "نافع" بعد ذلك إلى بيته– أيضًا – في الطّريق الصحراوي يريحنا ويريح نفسه.

وبالتأكيد سوف يستريح كلّ منهما في بيته، "إبراهيم نافع" يُتْحِفُنا بحقائقه،و"سليم عزّوز" بقطعه الأدبية الفريدة .

وبالتأكيد البيت له تأثير فـــ " فيلا " إبراهيم نافع تأتى بـــ "حقائق"، وشقّة "سليم عزّوز" في فيصل تأتي بـــ " شر البلية والذي منّه ".

كتابة القول وكتابة التقوّل

احترت في "بلال فضل" .. من أين يأتى هذا الكاتب بذلك الأسلوب المختلف، والذى يشبه النّاس، لكنّه ليس ككتاباهم؟ كيف استطاع أن يخترع كتابة خاصّة به وسينما خاصّة به ؟!

وأخيرا يأتي ليُدهش بعمله التلفزيوني الأوّل "هيمه" ، والذي أعتقد أنّ "كريم عبد العزيز" خسر كثيرًا باعتذاره عن هذا العمل ،فقد كشف النّص منطقة جديدة في موهبة "أحمد رزق" ولعلّه واحدًا من أنجح أعماله .

الغريب أنكّ لا تعرف من أين يأتي "بلال فضل" بكلّ هذه الكميّة من البهجة رغم وجهه العابث،ولحيته الحزينة التي لا تفارق وجهه، وأيام حياته البائسة ؛ والتي قضى أغلبها في العراء ومن أين له بالوقت الذى يقرأ فيه كلّ هذه الكتب،ويسطّر صفحات في جريدة "الدستور" وصلت إلى حد أنّ الآلاف من القرّاء كانوا يشترون الدّستور ؛لأنّ "بلال فضل" كان يكتب فيها؟! ،وكانت الصّفحة الأخيرة أو صفحته "قلمين" بمثابة طلقة المدفع التي يطلقها ليضحك أمة "لا إله الا الله" على هؤلاء السّادة المتحكّمين في رقاب العباد ، والذين ينفجّرون كمداً وغيظا، فالنّقد بل والشّتيمة لا تؤثّر فيهم ، أمّا أن يأتي كاتب ساخر ويضحك عليهم النّاس ويمسخرهم فهذا ما يغيظهم

ويؤلمهم ، كما كنت أغتاظ حين أجلس إلى عمّنا "محمود السّعدني" ، وتأتي سيرة "بلال فضل" ، إذ يميل الولد الشّقي إلى الوراء وينشكح ويكحّ ثمّ تأخذه نوبة حكي طويلة حول "بلال فضل" وموهبته .. وأنّه الكاتب السّاخر المقبل ، بل وأنّ "بلال" هو الكاتب الوحيد الذب يضحكه من الأجيال الجديدة،وكنت أؤيده في قوله، ذلك أنّ "بلال" يمتلك الجمل القصيرة التيب ترشق في القلب، فتميته ضحكًا، ثمّ تميته ألمًا .

وقد بشّر "محمود السّعدني" بموهبته حين قال في الإذاعة لعمر بطيشة :"هو في واد لما تشوفه شكله غريب أوي .. طويل أوي . وتخين أوي . شكله عبيط لّما تشوفه تحس إنّك عايز تديله عسلية،لكن لّما تقرأ له تلاقيه صحفي جامد أوي .. وهيبقى ليه مستقبل كبير ".

ولم يخطئ عمّنا "السّعدني"فهو يعرف الموهبة ويقربها منه ويعرف قيمتها جيّدًا يعطيها الأمل والبهجة والصّلابة .. وهكذا حلق"بلال فضل"،وصار آخر عنقود مضحكي طوب الأرض . فهو ينتمي إلى طوبة "صلاح جاهين" و"محمود السّعدني" .

ينتمي "بلال فضل" إلى هؤلاء رغم إصراره على أنّ "عزيز نيسين" أبوه الرّوحي، ومع كلّ احترامي للرّائع "عزيز نيسين"،الذي قرأت له كلّ ما تُرْجِم إلى العربية، فإنّ "بلال فضل" ثمرة أخرى متفرّدة ضمن شجرة "السّعدني" و"صلاح

جاهين "تزغزغ"طوب الأرض المجاور لها دون أن يحسّ بالزّغزغة،ولا تزغده كعادة مدّعي السّخرية الآن . وهذا الفصيل يكتب القصّة والرّواية والمسرحية والفيلم والمقال، ويُعدّ البرامج . فالسّعدني كتب روائع مسرحياته " فيضان النبع " و "عزبة بسيوني" وغيرها .. إلى جانب المقال والقصّة القصيرة والرواية " السّماء السّوداء " و " جنة رضوان " ورباعية " الولد الشّقي"وغيرهما .. وصلاح جاهين إلى جانب رباعياته،وقمره،وطينه، وكلمة سلامة، وقصاقيص ورقه ،كتب "زهرة في موسكو" وغنّى له "عبد الحليم حافظ"، وله أوبريتات "اللّيلة الكبيرة" و" القاهرة في ألف عام "مع"عبد الرحمن شوقي"،وللسّينما كتب " خلّي بالك من زوزو " وكتب السّيناريو لحلقات " هو وهي " وغيرهما .

كذلك "بلال فضل" كان له مقاله " قلمين " في صحيفة الدّستور الذي يهزّ كراسي الأغبياء المتسلّطين علينا .. ومع هذا الهز تهتزّ كروشنا ضحكاً وإعجاباً به وبقلمه الرّشيق، وحتّى حين كان يشرف على صفحة البريد في الإصدار الأوّل من "الدّستور" كانت ردوده صارخة كصرخات "محمّد عفيفي" .

وتجده حين يكتب مجموعة قصصية "بني نجم" يكتب بشكلٍ آخر مختلف تماماً عن فنّ القصّة . لكن حواره يشبه حوار يحيي حقّي في " دماء وطين " .. ذلك أنّ هناك عديدين يتوحّدون

لأنّ كتاباتهم عن النّاس المغروسة في الطّين عكس العبقري "إحسان عبد القدّوس" مثلا، فكتاباته عن النّاس مغروسة في " البيسين ".

بل واستطاع خلق توليفة خاصّة به ومختلفة عن السّائد .. كما استطاع خلال فترة قصيرة أن يصنع نجومية العديد من الفنّانين الذين شاركوا في أعماله .. كما قدّم كوميديا من نوعٍ مختلف عن السّائد وتفوّق على نفسه في فيلم " واحد من الناس" وجعل الجمهور يتقبّل موت بطلة الفيلم بعد ثلث السّاعة الأولى – "منّه شلبي" – ويتفوّق الفيلم على كلّ الأفلام الموجودة معه وقتها .

اثنا عشرفيلمًا لبلال فضل كنت أصالح نفسي بالذّهاب إلى دور العرض لمشاهدتها ، أمّا مجموعته القصصية " بني بجم " وكتابه "قلمين" فتحتاج إلى قراءة حقيقة ، فما يتركانه داخلك من بهجة يفوق بهجة الكتابة عنهما ، ولعلّي لا أخفي سرًّا حين أقول:"إنّ قلم بلال فضل يصيب مسئولين بالسّكتة الكلامية ويعرّيهم"،لذا لم أندهش حين دُعِي للكتابة في جريدة "الأهرام" فأسعد قرّاء الأهرام،ولم أندهش حين هاجمه العديد من أصحاب الأقلام اللّوذعية ، فكيف لمن يهاجم الرّئيس ونجله والنّظام أن يكتب في جريدة يملكها النّظام ؟

أصلها عزبة أبيهم وليست ضرائب المصريين ، لكن العيب ليس عليهم ، إنّما العيب على النّظام الذي أراد أن يركّب "وشا " لوجهه فطلع الوشّ صينيًا !

مع أنّ منتجات "الصّين" تفوق منتجات أقلامهم المنحنية،وقتها نظرت إلى مقالاتهم ، وتذكّرت قول الفرزدق "علينا أن نقول، وعليكم أن تتقوّلوا ".

مصر من البلكونة

كاتب ساحر ساحر موهوب إذا "فكيته" يعطي لك مائة من إياهم، والفكّة تبقى ناقصة .. تكتشف من خلاله كتابه "مصر من البلكونة "الصّادر عن دار "ميريت"..أنّك تجلس أمام كتابة طازجة مازالت تحمل طعم الكتابة الحقيقي، كتابة من أرصفة حياة مصر، خلعت كلّ الأردية التي عليها، وراحت تكتب بصدقٍ وعفوية، دون ادّعاء أو نرجسية .

يكتب "محمّد فتحي" عن مصر عملًا بالمثل " أدعي على بلدي وأكره اللّي يقول آمين "، فتراه يعدِّد لك عشرين سببًا لركوب مترو الأنفاق، مفنّدًا المشاكل والأزمات الحقيقية التي وضعت فيها الحكومات المأسوف عليها "مصر" وحالها، ومن أسباب الرّكوب :" يسهل عليك تذكّر رموز البلد (السّادات وعبد الناصر وعرابي) ويذكّرك بالوحدة الوطنية (مارى جرجس وسانت تريزا) ويعطيك أملًا في التغيير (محطّة مبارك هى المحطة الوحيدة التي تحمل اسم الرّئيس، ويُسْمَح فيها بالتغيير للخطّ الآخر).

وسيلة المواصلات الوحيدة التى تخبرك من سيأتى بعد "حسني مبارك" (غمرة أو عرابي حسب الخطّ).

" لا يتقاضى ضبّاطه أي رشوه بعكس ضبّاط وأمناء شرطة المرور، دعك طبعًا من أنّ شرطة المترو ابتكرت الغرامات بالعافية في فترة تقفيل المحاضر لتعويض غياب الرّشوة، ودعك كذلك من الكلابشات التي يضعوها الآن في أيدي من لا يدفع الغرامة، فكلّه بالقانون يا إكسلانس، وتحيا مصر ".

مترو الأنفاق يركبه د. "أسامة الباز" مستشار الرّئيس، وهو الوحيد من أعوان الرّئيس الذى يركبه ويدفع التذكره (وأحيانًا الغرامات)، ولعلّ ذلك يبرّر لماذا لا يأخذ الرّئيس برأيه؟!!!!

- مترو الأنفاق لا يركبه السّيد الرئيس، ولا نجل الرّئيس،ولا كل من يعمل تحت إمرة الرّئيس..يعني لا تُوجد إجراءات أمن تُحيل حياتك إلى جحيم من أجل سلامة السّيد الرئيس ".

"محمّد فتحي" يعدّد لك عشرين سببًا آخر لعدم ركوب المترو، تخيّل أنّ الأسباب السّابقة للرّكوب، فماذا تكون أسباب عدم الرّكوب ؟!

من المقالات الممتعة في هذا الكتاب البديع أيضًا، مقال "مصر بالصّيني " راصدًا تحوّل بعض الشّباب إلى أشياء مخجلة " من المؤكّد أنّ "الصين" طرحت في الأسواق المصرية طقم رجالة جديد.. هؤلاء تجدهم في الشّوارع يمشون وقد أظهر بنطلوهم السّاقط ما لذّ وطاب من بوكسراهم، وتقابلهم في مترو الأنفاق

يقفون على الباب بسماجة رغم أنّ محطتهم آخر الخط (يبدو أنّ "محمّد" كيّف ركوب مترو).

الرجالة الصّيني تقابلهم في الأفراح يهزّون وسطهم ولا أجدعها رقّاصة،وقد يتحزّمون ويلمّون النقطة بعد انتهاء رقصتهم،وغالبًا؛وبفعل تلك المهارات الرّائعة؛ يتحزّبون للحزب الوطني، أو يعملون في الصّحف القومية .

الرجالة الصّيني يجرّبون رنات موبايلاتهم في انصاص الليالي،ويشغّلون الأغاني بصوتٍ عالٍ في وسائل المواصلات،ويقفون بكاميرات هذه الموبايلات لتصوير بنات في كلّ مكان، دون أن يقترب منهم شرطي، أو يقول لهم أحد :" عيب يا صيني منك له" . لأنّ الجميع – والله أعلم – أصبحوا صينيين .

الرجالة الصّيني تجد اللّبانة في أفواههم لتمرين الفكّ على الرّغي مثل النّسوان،والسّلسلة تُحيط برقابهم ولا أجدعها بولودوج، وهم لا يخجلون من لبس الذّهب أو المشجّر أو متابعة "تامر أمين" في البيت بيتك .!!

الرجالة الصّيني يتنطّطون في أقسام الشّرطة على كلّ البشر،ويكلمونهم (من طراطيف مناخيرهم)،ولا أنسى الضّابط اللّذيذ الذي سب الدّين أمامي لُمسجّل خطر، ثمّ دخل

مكتبه وعاد بالسّبحة وهو يودّع الجميع بـــ (السّلام عليكم)!!.

وهذا الكتاب يُعد الدّليل الوافي لكيفية التّعامل مع مدّعي التسوّل في المجتمع المصري، حيث يوضّح لك "محمّد فتحي" ماذا تفعل مع كلّ حالة من حالة (عايز آكل) مرورًا بالمتسوّل بالبيض، وحتّى متسوّل " كل سنة وأنت طيب " .

وَلَكَم أتمنّى أن يحذف "محمّد فتحي" من كتابه حين يقرّر طباعته مرّة أخرى الفصل المُعَنْوَن بـــ " ما تقولشي إدتنا إيه مصر .. خلّلي الطّابق مستور "فليست "مصر" شارع الهرم،أوشارع جامعة الدّول العربية بعد العاشرة مساء، والصفة التي يطلقها "فتحى" على المتردّدات في هذا الوقت على هذين الشارعين تنطبق على السّاسة والحكومات المتعاقبة علينا الذين حوّلوا المجتمع إلى أفواه جائعة تبحث عن الطعام .

معتقدين أنّ " الحرّة " التي تجوع ولا تأكل بشرفها هي قناة "الحرّة الأمريكية"،لذا قرّروا منع أي "حرّة " حتّى يبيع الجميع .

الفهـــــرس

ونـــس

ناس بحبـــهم

إيميلي الذي سوف تنتقم منّي فيه :

samykamaleldeen@yahoo.com